

حُلاُّكَ الْحَقِّ

لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ فِي الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

الْمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّبِّ بْنِ حَسَنَةَ

تَأْلِيفَ

مُهَذَّبِ الْبُيُوتِ الْجَانِبِيِّ

مَرْكَزِ الدِّلَالَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

الدليل العقائدي

مركز بحثي متخصص في الرد على شبهات المخالفين

هوية الكتاب

عنوان الكتاب: **دلائل الحق - أسئلة وردود في العقيدة الإسلامية**
 تأليف: **السيد مهدي الموسوي الجابري**
 مراجعة وتصحيح: **الشيخ تحسين غاзи البادوي**
 إخراج وتصميم: **صفاء أحمد الشمري**
 الطبعة: **الثالثة**
 سنة الطبع: **٢٠٢٣ م - ١٤٤٥ هـ**
 الناشر: **مركز الدليل العقائدي**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد الأولين والآخرين وأشرف الخلق أجمعين، سراج المهتدين، والمبعوث رحمة للعالمين، المصطفى محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.. وبعد:

انطلاقاً من قوله **وَعَلَيْكُمْ**: **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾**^(١)، أخذ مركز الدليل العقائدي على عاتقه التصدي للشبهات التي تطال العقيدة الإسلامية عموماً، والتعريف بعقائد الشيعة الإمامية خصوصاً، مع التصدي للرد على كل الشبهات التي تطال المذهب الشيعي خاصة، هذا المذهب الشريف الذي أسس بنيانه، ووضع لبناته الأولى النبي الأقدس **صلى الله عليه وآله** حين قال في حديث صحيح: (إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين الأرض والسماء، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض)، وما تلاه من بيانات وأحاديث متضافرة تحث على التمسك والأخذ والمتابعة للثقلين (الكتاب والعتر) معاً، كهذا الحديث الصحيح: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)، وغيرها من الأحاديث الشريفة الصحيحة الواردة في هذا الجانب، التي يكاد المنصف أن يقول بتواترها، بل هي متواترة فعلاً، لتضافر نقلها عند

جميع الفرق الإسلامية على اختلاف مشاربهم الفقهية والعقدية. وكل هذه الردود إنما تجري على وفق أسسٍ علمية ومنهجية سليمة، بعيدة عن التعصّب الأعمى والانغلاق المقيت، فالعلم هو السلاح الوحيد النافذ الذي يصح الاحتجاج به، وما عداه لا قيمة له، وقد نُسب إلى سيد الموحّدين أمير المؤمنين مولانا عليّ بن أبي طالب عليه السلام قوله:

فَفُزُّ بِعِلْمٍ وَلَا تَطْلُبْ بِهِ بَدَلًا فَالنَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ

وعلى وفق هذه المعطيات جاءت المجموعة الرابعة عشر من الأسئلة والردود في العقيدة الإسلامية، وهي جزءٌ من سلسلةٍ من الكتب تحت عنوان (دلائل الحق)، آمليْن أن تجدوا فيه ما ينفعُكم في أمور دينكم ودنياكم وآخرتكم، ونأمل أن تزدادوا بصيرةً بوقوفكم على حقائق نفُضنا عنها غبار الشُّبهات بعد أن أثارها العابثون، وأسدلوا عليها ستارَ التضليل، ونرجو أن تكون هذه السلسلة نبراسًا لحلّ ما التبس على بعض الناس من مسائل العقيدة، وإنارة السبيل لهم، وأن يجدوا فيها ضالّتهم، وإجابة مسألّتهم. ونسأل الله أن يجمعَ شملَ المسلمين، ويزيدَ من عوامل التقائهم وألْفَتهم، ويجنّبهم شرّ التطرّف والمتطرّفين، وشرّ الكفّار والملحدّين، وأن تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الكفّار والمنافقين هي السفلى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه أجمعين، محمد وآله الطيبين الطاهرين.

مهدي الموسوي الجابري

النجف الأشرف

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٣ م

تجديد الحزن على الحسين عليه السلام وأثره في تعزيز القيم الإنسانية وترسيخ المبادئ الإسلامية

المستشكل: عبد الرحمن ميسر
 الاستشكال: لماذا يُجَدِّدُ الحزن على قتل الحسين رضي الله عنه، على رغم مضي ١٤٠٠ سنة على تلك الحادثة؟
 الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم
 والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

إذا أنعمت النظر في كتب ابن تيمية ستجد جواب ما سألت عنه، فإنه يعلّل ذلك في كتابه "رأس الحسين" فيقول: «في المسند وغيره: عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال: "ما من مسلم يُصاب بمصيبةٍ، فيذكر مصيبةً، وإنْ قدمت، فيُحدث لها استرجاعاً، إلا أعطاه الله من الأجر مثل أجره يوم أُصيب بها". فهذا الحديث رواه الحسين، وعنه بنته فاطمة التي شهدت مصرعه. وقد علم الله أن مصيبته تُذكر على طول زمان»^(١).

(١) رأس الحسين، لابن تيمية، ص ٢٠٢.

وفي كتابه "حقوق آل البيت" يقول: «إن اليوم الذي هو يوم عاشوراء الذي أكرم الله فيه سبط نبيه، وأحد سيدي شباب أهل الجنة بالشهادة على أيدي من قُتل من الفجرة الأَشْقِيَاء، وكان ذلك مصيبةً عظيمةً من أعظم المصائب الواقعة في الإسلام. وقد روى الإمام أحمد وغيره عن فاطمة بنت الحسين، وقد كانت قد شهدت مصرع أبيها، الحسين بن علي رضي الله عنهم، عن جده رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما من رجل يُصاب بمصيبةٍ، فيذكر مصيبته وإن قدم، فيُحدث لها استرجاعاً إلا أعطاه الله من الأجر مثل أجره يوم أصيب بها". فقد علم الله أن مثل هذه المصيبة العظيمة سيتجدد ذكرها مع تقادم العهد»^(١).

وفي "منهاج السنة" يؤكد قائلًا: «ورواية الحسين وابنته التي شهدت مصرعه لهذا الحديث آية، فإن مصيبة الحسين هي ما يذكر وإن قدمت»^(٢).

ومما سبق يتضح وجود مسوِّغ شرعي لتجديد الحزن على الحسين عليه السلام، وذلك على رغم مرور الزمن وابتعاد الأحداث تاريخيًا.

فمعركة كربلاء واقعة مأساوية في تاريخ الإسلام؛ حيث قُتل الإمام الحسين عليه السلام وجمُع من أهل بيته وأصحابه وأنصاره بطريقةٍ غير إنسانية، لم يُسجل التاريخ مثيلاً لها. وهذه الواقعة تُعد من

(١) حقوق آل البيت، لابن تيمية، ص ٤٤.

(٢) منهاج السنة النبوية، ج ٤، ص ٥٥١.

بين الأحداث الأكثر أهمية التي شهدت تحديًا ضد الظلم والفساد والاضطهاد الذي حلّ في الإسلام.

والشيعة يجددون الحزن على الإمام الحسين عليه السلام سنويًا في يوم عاشوراء وفي أوقات أخرى، وذلك لتذكير الناس بقضيته واستلهام الدروس والعبر التي يمكن استخلاصها من تضحيته وثباته في مواجهة الظلم والطغيان.

ويمكن ذكر أسباب تجديد الشيعة للحزن على الإمام الحسين في عدة أمور:

أولاً: يُعدّ الإمام الحسين عليه السلام شخصية مؤثرة في تاريخ الإسلام، وقد ارتكبت بحقه وبحق أهل بيته وأنصاره جرائم مأساوية وظلم جسيم، فتجديد الحزن على استشهاده يُظهر حبه وإكباره.

ثانيًا: تُعدّ معركة كربلاء حدثًا تاريخيًا مهمًا، يحمل في طياته قيمًا ومبادئ يُحتذى بها، وتجديد الحزن يساعد على الاستفادة من تلك القيم والعبر وتطبيقها في حياة المسلمين.

ثالثًا: يُعدّ تجديد الحزن على الحسين عليه السلام في عاشوراء مناسبة لتعزيز الوحدة والتلاحم بين المؤمنين، حيث يجمعهم هذا الحدث الأليم، ويجعلهم يتلاقون في ذكراه.

رابعًا: تجديد الحزن على الحسين عليه السلام يُعدّ فرصة للتأمل والتدبر،

حيث يحثُّ على التفكُّر في قضية العدل ومقاومة الظلم ومقارعة الظالمين، ويعزِّز الإحساس بالمسؤولية تجاه مواقف المؤمنين وتحديات الحياة.

خامساً: إن تجديد الحزن على الحسين عليه السلام يساهم في إبراز قيمة الصبر والثبات في وجه الصعاب والمحن، وهو مفهومٌ بارزٌ يعزِّز الإيمان والقوة الروحية لدى المؤمنين.

وختامًا، يُعدّ تجديد الحزن على الإمام الحسين عليه السلام فرصة لإحياء روح العدالة والمقاومة والتضحية التي جسدها شخصيته عليه السلام، ولتذكير الناس بقيمة الالتفاف حول المبادئ الإسلامية والقيم الإنسانية العليا.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



علم الحسين عليه السلام بمقتله بين التفصيل والإجمال

السائل: محمد فاضل المدني

السؤال: قال نعمت الله صالحى نجفى آبادي في كتابه "الشهيد الخالد" ما معناه: (لو كان الحسين يعلم تفصيلاً بأن سفره إلى العراق سيؤدي إلى مقتله الحتمي لما خرج، بالإضافة إلى أن هذا يتنافى واتخاذ أسوة. [الشهيد الخالد، ص ٤٤] أرجو الرد والبيان.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

يعدّ كتاب "الشهيد الخالد" للشيخ نعمة الله صالحى نجفى آبادي قراءة شخصية لأحداث كربلاء ونهضة الإمام الحسين عليه السلام. ومع ذلك فالكتاب يعاني من عدة ثغرات علمية، وقام جمعٌ من المراجع والعلماء بالرد على الكتاب، وناقشوا الثغرات العلمية فيه في مؤلفات عديدة، ويذكر مترجم الكتاب أن عدد هذه المؤلفات بلغ ١٣ كتاباً على الأقل^(١).

(١) ينظر: الشهيد الخالد، ص ١٣.

وسنتطرق في ما يأتي إلى الثغرة التي ذُكرت في السؤال، والتي تتعلق بقول المؤلف: (لو كان الحسين يعلم تفصيلاً بأن سفره إلى العراق سيؤدي إلى مقتله الحتمي لما خرج، بالإضافة إلى أن هذا يتنافى واتخاذهُ أسوة).

في هذا السياق، يُجدر بنا أن نشير إلى عدم قدرة المؤلف على التوفيق بين علم الأئمة عليهم السلام التفصيلي ببعض المغيبات، مثل معرفتهم بموعد موتهم، وبين إقدامهم على الموت في الموعد المذكور. ويمكن الاطلاع على كلامه حول علم الأئمة بالغيب في الصفحة ٤١ من كتابه المذكور.

بالإضافة إلى ذلك، يحاول المؤلف الانتصار لدعوى العلم الإجمالي، التي يقول بها بعض علمائنا، مع أن دعوى العلم التفصيلي يقول بها جمعٌ آخر من علمائنا أيضاً. ومن المنطقي والمنهجي أن يناقش المؤلف وقائع الأمور حسب جميع الدعاوى المطروحة، دون الاقتصار على دعوى دون أخرى، وذلك بحسب المنهج العلمي المتبع.

وإذا نظرنا إلى دعوى العلم التفصيلي بموعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، فإنها لا تتنافى مع نهضته، حيث توجد أمورٌ حتمية لا بدّ من وقوعها لحضور أسبابها، ولا يمكن مخالفة المحتوم. وهذا البحث معروفٌ في باب القضاء والقدر، حيث أن القضاء على نحوين:

قضاء محتوم، وهو ما أخبرنا به الرسل والأنبياء، فإنه لا بد من حدوث هذا القضاء؛ لأن الله لا يُكذِّب أنبيائه ورسله، وما أخبروا به يحصل بالضرورة.

وقضاء موقوف، أي غير محتوم، وهو قضاء يخضع لقانون المحو والإثبات، الذي جاء في قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١). في هذا النوع من القضاء، يجري التغيير بحسب مقتضيات عمل الإنسان وأفعاله التي تبدل الأقدار، كما نصت على ذلك الأحاديث الشريفة: بأن الدعاء يرد القضاء، والصدقة تدفع البلاء، وصلة الأرحام تزيد الأعمار، ونحو ذلك^(٢).

ويروى في هذا الجانب عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: «العلم علمان: فعلم عند الله مخزون. لم يطلع عليه أحد من خلقه. وعلم علمه ملائكته ورسله. فما علمه ملائكته ورسله، فإنه سيكون، لا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله. وعلم عند مخزون، يقدم منه ما يشاء، ويثبت ما يشاء». وفي رواية أخرى عن الفضيل، قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: "من الأمور أمور موقوفة عند الله، يقدم منها ما يشاء، ويؤخر منها ما يشاء"»^(٣). وتوجد في هذا المجال أكثر من سبعين رواية، جمعها العلامة المجلسي في بحار

(١) الرعد: ٣٩.

(٢) انظر: سنن الترمذي، ج ٣، ص ٣٠٤، المستدرک للحاكم، ج ١، ص ٤٩٣، شعب الايمان للبيهقي، ج ٣، ص ٢١٤.

(٣) الكافي، ج ١، ص ١٤٧.

الأنوار (١).

وبناء على ذلك، إذا كان مقتل الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء من الأمور الحتمية - وهو ما تضافر نقله عن النبي صلّى الله عليه وآله في مصادر الفريقين؛ لأنّ الله لا يكذب نبيّه على قول الإمام الباقر عليه السلام - فلا موجب لهذا التوقف وعدم التوفيق بين العلم التفصيلي بموعد مقتله عليه السلام - على القائل به - وبين حضوره في مكان القتل في الموعد المذكور بعد اكتمال أسباب الحضور؛ إذ لا توجد منافاة شرعية في الموضوع، فالمقاتل في جبهات القتال مثلاً الذي يقدم على خوض المعارك، والذي يحصل له في بعض الأحيان العلم التفصيلي بمقتله - كأن يؤدي عملية استشهادية معينة يعلم بموته فيها يقيناً - وأحياناً العلم الإجمالي، فهل تراه يمنع هذا العلم من خوض المعارك والحضور في هذه الأماكن، أو تراه لا يحقّ لنا أن نتأسى ببطولته واستشهاده؟! فكان ما ذكره مؤلف الكتاب يعدّ غريباً في مضمونه، ولا يتوافق مع معايير البحث العلمي المنهجي.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



(١) بحار الأنوار، ج ١٩، ص ٣٥-٣٨، وج ١٥، ص ٢٦، وج ٢٠، ص ٣١-٣٨، وج ٧، ص ١٩٨ - ٢٠٦، وغيرها من الأجزاء، فارجع إليه.

الإمام الحسين عليه السلام وعلمه المسبق بمصير مسلم بن عقيل

السائل: حمزة كريم

الإشكال: شبهة يطرحها المدعو "الصرخي" حول علم الغيب وعلم ما كان وما يكون عندما بعث الإمام الحسين ع سفيره وابن عمه مسلم بن عقيل.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

لا يُعرف الجاهل إلا من نُطقه ومنطقه! وهذا الإشكال المطروح يشي بجهل قائله، ويقدم تعريفاً له لمن لا يعرفه، ويسقط القناع عن وجهه القبيح؛ ليراه كل أولئك الذين استغلُّوا، واستُخِفَّ بعقولهم، حيث يفترض أن الإمام الحسين عليه السلام لو كان يعلم ما كان وما يكون، بما في ذلك مصير مسلم بن عقيل وما سيحدث له في الكوفة، لمنعه من الذهاب حفاظاً على حياته.

ونحن نجيبه كما نجيب أحد النواصب، فنقول:

نعتقد نحن الشيعة الإمامية أنَّ أئمتنا عليهم السلام لا يعلمون الغيب، ولكنهم متى شاؤوا أن يعلموا شيئاً أعلمهم إياه الله عز وجل، وقد دلت على ذلك روايات كثيرة متضافرة في مجاميعنا الحديثية ^(١).

جاء في "الكافي" بسنده عن عمّار الساباطي، أنه قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإمام، يعلم الغيب؟ فقال: لا - ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء أعلمه الله ذلك» ^(٢).

فهذا العلم بالغيب عند الأئمة عليهم السلام يَمُنحه الله عز وجل لهم في ما يتعلّق بوظائف إمامتهم.

والعلم ببعض الأمور الغيبية لا يعني مخالفة المحتوم، فإنّ هناك أموراً محتومة لا بدّ من وقوعها إذا حضرت أسبابها، وهذا لا يعني تقدير وقوعها على نحو الجبر، بل هي ممّا جرى في علم الله سبحانه وتعالى بأنّها ستقع حتماً لحضور أسبابها ومسبباتها، والتكليف في دار الدنيا - كما هو معلوم - إنّما يجري على وفق قانون الأسباب والمسبّبات، فلو فرضنا أنّ هناك شخصاً سيُقتل غداً بالرصاص في حادثة معينة، والله سبحانه وتعالى قد أعطى هذا العلم بالموت للشخص نفسه، فهل تراه يقدر هذا الشخص أن يدفع الموت عنه إذا حضرت كلّ الأسباب لحضوره في تلك الحادثة ومقتله فيها؟!!

(١) يُنظر: الوافي، للفيض الكاشاني، ج ٣، ص ٥٩٠، باب: أنّهم لا يعلمون الغيب إلا أنّهم متى شاؤوا أن يعلموا أعلموا.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٢٥٧.

إنّ دفع الأسباب بعد حضورها ليس مقدورًا لأحدٍ من البشر..
وقد أخبرنا رسول الله ﷺ بأنّ ولده الحسين عليه السلام سيقتل في أرضٍ
يقال لها (كربلاء)، وهذا أمر تضافر نقله عن جميع المسلمين سنةً
وشيعةً، وهو ممّا كان يعلمه الحسين عليه السلام أيضًا.. فلماذا لم ينه النبيُّ
ﷺ ولده الحسين عليه السلام من الذهاب إلى كربلاء حتّى لا يُقتل فيها،
وتُسبى نساؤه وبناته؟!!!

إنّ التكليف الشرعي للإمام الحسين عليه السلام في وقتها كان هو الخروج
لنصرة المظلومين بعد أن اجتمعت عنده آلاف الكتب من أهل
الكوفة وعشرات الألوف من التواقيع عليها تستنجد به للخلاص
من الحكم الأموي وطاغيته يزيد (عليه لعائن الله)، وإرسال ابن
عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة كان جزءًا من ذلك التكليف.

فالحسين عليه السلام لم يمنع مسلمًا من الذهاب إلى الكوفة على رغم
علمه بما سيحدث له، ورسول الله ﷺ أيضًا لم يمنع ولده الحسين
عليه السلام من الذهاب إلى كربلاء على رغم علمه بمقتله فيها.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد
 وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



إفراد الإمام الحسين بالصلاة عليه جزء من الصلاة على محمد وآل محمد

السائل: أحمد عباس

السؤال: الصلاة من الله عز وجل هل هي مخصوصة لرسول الله ﷺ، أو أنها للأئمة والأولياء والصالحين أيضاً، أي بمعنى أنه: كيف يصح أن نقول: صلى الله عليك يا أبا عبد الله؟ أرجو الجواب والرد، جزاكم الله خيراً.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

في البدء ينبغي الإشارة إلى أن تشريع الصلاة على النبي ﷺ قد جاء بالنص القرآني في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١).

وقد اتفقت كلمة المسلمين على وجوب هذه الصلاة لصيغة الأمر الواردة في قوله تعالى: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ﴾، والأمر ظاهر في

(١) الأحزاب: ٥٦.

الوجوب كما هو معلوم من علم الأصول.. قال ابن عبد البر: «وأجمع العلماء على أن الصلاة على النبي فرض واجب على كل مسلم؛ لقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾»^(١).

وعن الألوسي في "تفسيره": «والأمر في الآية عند الأكثرين للوجوب، بل ذكر بعضهم إجماع الأئمة والعلماء عليه، ودعوى محمد بن جرير الطبري أنه للندب بالإجماع مردودة، أو مؤولة بالحمل على ما زاد على مرة واحدة في العمر»^(٢).

ومن الشيعة الإمامية صرح الشريف المرتضى: «ومما يدل على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله فيها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ فأمر بالصلاة عليه، وأجمعنا على أن الصلاة عليه لا تجب في غير الصلاة، فلم يكن موضع يحمل عليه إلا الصلاة»^(٣).

وعليه، فتشريع الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أمر مفروغ منه، سواء قلنا: إن وجوبها يختص في حال فريضة الصلاة - كما نقل إجماع الإمامية الشريف المرتضى -، أو أنها واجبة مطلقاً كما عليه بعض علماء أهل السنة.

(١) فتح المالك بتبويب التمهيد، لابن عبد البر، ج ٣، ص ٢٣٧.

(٢) روح المعاني، ج ٢٢، ص ٨١.

(٣) الناصريات، ص ٢٢٩.

أما كيفية الصلاة على النبي ﷺ، فعند نزول هذه الآية المباركة (آية ٥٦ من سورة الأحزاب) أقبل الصحابة يسألون النبي عن كيفية الصلاة عليه، وفي هذا الجانب أخرج البخاري وبقية رجال الحديث عن كعب بن عجرة قوله: «سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نسلم؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»^(١).

وقد تواتر النقل لهذه الكيفية في الصلاة على النبي ﷺ عن اثني عشر صحابياً يروونها أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد والمحدثون في كتبهم، منهم: أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وأبو هريرة، وابن عباس، وابن مسعود، وأبو مسعود الأنصاري، وزيد بن خارجه وغيرهم... الأمر الذي يشكل معه الاقتصار على الصلاة فيها على النبي دون الآل.

قال العلامة الصنعاني في "سبل السلام": «الصلاة عليه لا تتم، ويكون العبد ممتثلاً بها حتى يأتي بهذا اللفظ النبوي الذي فيه ذكر الآل؛ لأنّه قال السائل: كيف نصلي عليك؟ فأجابه بالكيفية أنّها الصلاة عليه وعلى آله، فمن لم يأت بالآل، فما صلى عليه بالكيفية

(١) صحيح البخاري، ج ٤، ص ١١٨، كتاب بدء الخلق.

التي أمر بها»^(١).

وجاء عن ابن الجزري في "مفتاح الحصن" قوله: «والاقتصار على الصلاة عليه (صلى الله عليه وسلم) لا أعلمه ورد في حديث مرفوعاً إلا في سنن النسائي في آخر دعاء القنوت، وفي سائر صفة الصلاة عليه (صلى الله عليه وسلم) العطف بالآل»^(٢).

وعن الشوكاني في "فتح القدير": «وجميع التعليقات الواردة عنه (صلى الله عليه وسلم) في الصلاة عليه مشتملة على الصلاة على آله معه إلا النادر اليسير، حتى أن النووي يرى عدم مشروعية الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وحده ما لم يكن معه آله»^(٣).

وجاء عن الألباني قوله: «إن القول بكراهة الزيادة في الصلاة عليه (صلى الله عليه وسلم) في التشهد الأول على (اللهم صل على محمد) مما لا أصل له في السنة ولا برهان عليه، بل نرى أن من فعل ذلك لم ينفذ أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) المتقدم: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد».

وقال أيضاً: «ليس من السنة، ولا يكون منفذاً للأمر النبوي من اقتصر على قوله: (اللهم صل على محمد) فحسب، بل لا بد من الإتيان بإحدى هذه الصيغ كاملة، كما جاءت عنه (صلى الله

(١) سبل السلام، ج ١، ص ٣٠٥.

(٢) سعادة الدارين، للنبهاني، ص ٢٩.

(٣) فتح القدير، ج ٤، ص ٣٨٠.

عليه وسلّم»^(١).

وفي هذا السياق، يُلاحَظ بنحو غريب أن هؤلاء الأعلام - كابن الجزري والشوكاني والألباني وغيرهم - حين يصرّحون بأن الصلاة البتراء (أي الاختصار بالصلاة على النبي دون الآل) ليست من السنة وأنّ الآتي بها لا يكون منفذاً للأمر النبويّ بالصلاة عليه وعلى آله، ومع ذلك تراهم يأتون بالصلاة البتراء في كلماتهم دون الصلاة الكاملة.. ويُعد هذا النهج ظاهرة لازدواجية الدينية، حيث يقولون ما لا يفعلون، والإفصاح عن ما لا يُنفذ يُعد من المقت العظيم عند الله، كما جاء في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾!!

بقي أن نشير إلى (الآل) المقرون ذكرهم في الصلاة على النبي

صلوات الله
والسلاوات

روى أحمد في مسنده وغيره أنّ رسول الله (صلى عليه وآله وسلم) دعا عليّاً وفاطمة والحسن والحسين، وقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي)^(٢).

ومن المعلوم في علم البلاغة أنّ تعريف الجزئين يفيد التعيين

(١) صفة صلاة النبي، للألباني، ص ١٢٩، ١٣٣.

(٢) مسند أحمد، ج ١٨، ص ٢٤٤، ح ٢٦٣٨٨، قال حمزة أحمد الزين - المحقق للمسند: إسناده صحيح؛ المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ١٥، صححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

والانحصار^(١). وقوله صلى الله عليه وآله وسلم هنا معرّف الجزءين، ف (هؤلاء) اسم إشارة، وهو من المعارف، و(أهل بيتي) - مضاف ومضاف إليه - معرفة أيضاً.. فيثبت المطلوب..

قال الفخر الرازي في "تفسيره": (آل محمد (صلى الله عليه وسلم) هم من يؤول أمرهم إليه، فكل من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل، ولا شك أنّ فاطمة وعليّ والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أشدّ التعلقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل)^(٢).

فاتضح مما تقدم أن الصلاة مخصوصة بمحمد وآله (صلوات الله عليهم أجمعين) دون سواهم، وإفراد الإمام الحسين عليه السلام بقول "صلى الله عليك يا أبا عبد الله" أو غيره من المعصومين عليهم السلام هو بلا شك جزء من صيغة الصلاة الشرعية المقرونة بالصلاة على جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



(١) يُنظر: الإتيقان في علوم القرآن، للسيوطي، ص ٥٨٣، في دلالة تعريف الجزءين على إفادة الحصر والتعيين.

(٢) تفسير الرازي، ج ٢٧، ص ١٦٦.

الإمام الحسن العسكري يكشف عن ولده المهدي المنتظر

السائل: محمد، العراق، النجف الأشرف

السؤال: سؤالي هو هل هناك روايات تدّعي أن الإمام الحسن العسكري كان عقيماً؟ فهل هذه الروايات صحيحة مع الدليل إن أمكن؟ وشكراً.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

إنّ زعم وجود روايات تثبت أن الإمام الحسن العسكري عليه السلام كان عقيماً، لا عقب له في كتب الشيعة هو من الكذب الواضح الفاضح، فكتب الشيعة تؤكد، وتثبت عكس ذلك تماماً بروايات صحيحة تصرّح بأن الإمام الحسن العسكري عليه السلام ولد له المهدي عليه السلام وقد أظهره لبعض الخواص من أصحابه، وعلم بولادته ووجوده من كان يثق بالإمام بهم من أهل بيته.

روى الشيخ الكليني في الكافي بسند صحيح عن محمد بن يحيى عن أحمد بن إسحاق عن أبي هاشم الجعفري، قال: «قلت لأبي

محمد عليه السلام [أي الإمام الحسن العسكري]: جلالتك تمنعني من مسألتك، فتأذن لي أن أسألك؟ فقال: سل. فقلت: يا سيدي هل لك ولد؟ فقال: نعم، فقلت: فإن حدث بك حدث فأين أسأل عنه؟ قال: بالمدينة»^(١).

وروى أيضًا في الكافي بسند صحيح عن محمد بن عبد الله ومحمد بن يحيى جميعًا عن عبد الله بن جعفر الحميري، قال: «اجتمعت أنا والشيخ أبو عمرو رحمه الله عند أحمد بن إسحاق، فغمزني أحمد بن إسحاق أن أسأله عن الخلف، فقلت له: يا أبا عمرو إنني أريد أن أسألك عن شيء، وما أنا بشاكٍّ فيما أريد أن أسألك عنه؛ فإن اعتقادي وديني أن الأرض لا تخلو من حجة إلا إذا كان قبل يوم القيامة بأربعين يومًا، فإذا كان ذلك رُفعت الحجة، وأغلق باب التوبة، فلم يكُ ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا، فأولئك أشرار خلق الله عز وجل، وهم الذين تقوم عليهم القيامة، ولكنني أحببت أن أزداد يقينًا وأن إبراهيم عليه السلام سأل ربه عز وجل أن يريه كيف يحيي الموتى، قال: أولم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي، وقد أخبرني أبو علي أحمد بن إسحاق عن أبي الحسن عليه السلام، قال: سألته، وقلت: من أعامل، أو عمّن أخذ؟ وقول من أقبل؟ فقال له: العمري ثقتي، فما أدّى عني فعني يؤدي، وما قال لك عني يقول، فاسمع له، وأطع، فإنه الثقة المأمون.

وأخبرني أبو علي أنه سأل أبا محمد عليه السلام عن مثل ذلك، فقال له: العمري وابنه ثقتان، فما أدّيا عني فعنّي يؤديان، وما قالاك فعنّي يقولان، فاسمع لهما، وأطعهما، فإنهما الثقتان المأمونان. فهذا قول إمامين قد مضيا فيك، قال: فخرّ أبو عمرو ساجداً، وبكى، ثم قال: سل حاجتك، فقلت له: أنت رأيت الخلف من بعد أبي محمد عليه السلام؟ فقال: أي والله، ورقبته مثل ذا، وأوماً بيده، فقلت له: فبقيت واحدة، فقال لي: هات، فقلت: فالاسم؟ قال: محرّم عليكم أن تسألوا عن ذلك، ولا أقول هذا من عندي، فليس لي أن أحلل، ولا أحرم، ولكنّ عنه عليه السلام، فإن الأمر عند السلطان أنّ أبا محمد مضى، ولم يخلف ولداً، وقسم ميراثه، وأخذه من لاحق له فيه، وهو ذا عياله يجولون، ليس أحد يجسر أن يعترف إليهم أو ينيلهم شيئاً، وإذا وقع الاسم وقع الطلب، فاتقوا الله، وأمسكوا عن ذلك»^(١).

فهاتان الروايتان الصحيحتان - وغيرهما كثير مما لا يسع هذا المختصر ذكرها - تثبتان ولادة ووجود ولد للإمام الحسن العسكري عليه السلام.

هذا، بالإضافة إلى ما توارد في مصادر أهل السنة من نصوصٍ تثبت أن للإمام الحسن العسكري ولداً اسمه (محمد)، وهو الحجة القائم المهدي عليه السلام أرواحنا لتراب مقدمه الفداء، ونذكر هنا شيئاً من النصوص المصرحة بولادة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام الواردة في مصادر الأنساب:

(١) الكافي، ج ١، ص ٣٣٠.

١- النسابة الشهير أبو نصر سهل بن عبد الله بن داود بن سليمان البخاري، من أعلام القرن الرابع الهجري، والذي كان حيًّا سنة (٣٤١ هـ)، وهو من أشهر علماء الأنساب المعاصرين لغيبة الإمام المهدي الصغرى التي انتهت سنة ٣٢٩ هـ.

قال في سر السلسلة العلوية: «وولد علي بن محمد التقي -الحسن بن علي العسكري من أم ولد نوبيّة، تدعى: ریحانة، وولد سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وقبض سنة ستين ومائتين بسامراء، وهو ابن تسع وعشرين سنة.. وولد علي بن محمد التقي جعفرًا، وهو الذي تسميه الإمامية جعفر الكذاب، وإنّا تسميه الإمامية بذلك لادعائه ميراث أخيه الحسن دون ابنه القائم الحجة - لا طعن في نسبه»^(١).

٢- النسابة العمري المشهور من أعلام القرن الخامس الهجري، والذي قال ما نصّه: «ومات أبو محمد -وولده من نرجس- معلوم عند خاصة أصحابه وثقات أهله، وسنذكر حال ولادته والأخبار التي سمعناها بذلك، وامتنحن المؤمنون -بل كافة الناس- بغيبته، وشره جعفر بن علي إلى مال أخيه وحاله، فدفع أن يكون له ولد، وأعانه بعض الفراعنة على قبض جوارى أخيه»^(٢).

٣- الفخر الرازي الشافعي (ت: ٦٠٦ هـ)، قال في كتابه الشجرة المباركة في أنساب الطالبية تحت عنوان: أولاد الإمام العسكري ما هذا نصه:

(١) سر السلسلة العلوية، لأبي نصر البخاري، ص ٣٩.

(٢) المجدي في أنساب الطالبيين، ص ١٣٠.

«أما الحسن العسكري الإمام فله ابنان وبتتان: أما الابنان فأحدهما: صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف، والثاني موسى، درج في حياة أبيه. وأما البنتان: ففاطمة، درجت في حياة أبيها، وأم موسى درجت أيضًا»^(١).

٤- النسابة جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبه (ت: ٨٢٨ هـ) قال في عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: «أمّا علي الهادي فيلقب العسكري لمقامه بسُرٍّ من رأى، وكانت تسمى العسكر، وأمّه أم ولد، وكان في غاية الفضل ونهاية النبل، أشخصه المتوكل إلى سُرٍّ من رأى، فأقام بها إلى أن تُوفي، وأعقب من رجلين، هما:

الإمام أبو محمد الحسن العسكري، وكان من الزهد والعلم على أمر عظيم، وهو والد الإمام محمد المهدي صلوات الله عليه ثاني عشر الأئمة عند الإمامية، وهو القائم المنتظر عندهم من أم ولد اسمها نرجس، واسم أخيه أبو عبد الله جعفر الملقب بالكذاب؛ لادعائه الإمامة بعد أخيه الحسن»^(٢).

٥- النسابة الزيدي أبو الحسن محمد الحسيني اليماني الصنعاني، من أعيان القرن الحادي عشر، ذكر في المشجرة التي رسمها لبيان نسب أولاد أبي جعفر محمد بن علي الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وتحت اسم الإمام علي التقي المعروف بالهادي عليه السلام خمسة من البنين، وهم: الإمام العسكري، الحسين، موسى، محمد، علي. وتحت اسم الإمام العسكري عليه السلام مباشرة كتب: (محمد بن) وبإزائه: (منتظر الإمامية)^(٣).

(١) الشجرة المباركة في أنساب الطالبيه، للفخر الرازي، ص ٧٨-٧٩.

(٢) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ص ١٩٩.

(٣) روضة الألباب لمعرفة الأنساب، للنسابة الزيدي أبي الحسن محمد الحسيني الصنعاني، ص ١٠٥.

٦ - محمد أمين السويدي (ت: ١٢٤٦ هـ) قال في سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب: «محمد المهدي: وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين، وكان مربع القامة، حسن الوجه والشعر، أقنى الأنف، صبيح الجبهة»^(١).

فهذه أقوال جملة من علماء الأنساب المشهورين على مر القرون، يثبتون الولادة الميمونة للإمام المهدي عليه السلام وأنه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

وتواردت أيضاً اعترافات علماء أهل السنة بولادة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، حيث أحصى السيد ثامر العميدي في كتابه "دفاع عن الكافي" ١٢٨ عالماً من علماء أهل السنة من فقهاء ومحدثين ومفسرين وغيرهم، وعلى مرّ القرون، ممن اعترف بهذه الولادة المباركة^(٢).

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



(١) سبائك الذهب، للسويدي، ص ٣٤٦.

(٢) يُنظر: دفاع عن الكافي، ج ١، ص ٥٦٨-٥٩٢.

دليل عدم جواز ذكر صحابة النبي وأزواجه في الصلاة عليه وآله

المستشكل: غانم سلامة

الإشكال: لم لا تجوزون الصلاة على أصحاب وأزواج النبي عند الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، في حين أن أهل السنة والجماعة اتفقوا على جواز جعل غير النبي صلى الله عليه وسلم تبعاً له في الصلاة، فيقال: «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وأصحابه وأزواجه وذريته وأتباعه»، للأحاديث الصحيحة، وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما غُسل عمر، وكُفن، وحُمل على سريرته وقف عليه، فقال: صلى الله عليك، رواه ابن سعد في طبقاته، فلماذا لا تتبعون علياً، وأنتم توالونه؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله

المطهرين..

اتفاق أهل السنة حجة عليهم، لا على الشيعة الإمامية إن كان هناك اتفاق أصلاً، وأما قول «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وأصحابه وأزواجه وذريته وأتباعه» فهذه بدعة أخرى تضاف إلى

بدعة الصلاة البتراء؛ وهذه الإضافة «وأصحابه وأزواجه وذريته وأتباعه» لا يوجد عليها دليل من كتاب ولا سنة، وإنما دليل إضافتها عند بعضهم هو القياس ليس غير، والقياس من الظن الذي لا يُغني عن الحق شيئاً.

قال النبهاني في "سعادة الدارين": «وأما الصلاة على أصحابه -صلى الله عليه وسلم- فإنها لم ترد في الأحاديث، وقد وقع الاتفاق على استحسانها بالقياس على الآل، كما ذكره شراح الدلائل وغيرهم»^(١).

وهذا القياس باطل؛ لوجود النص، ولا يصح القياس مع وجود النص، قال الشيخ محمد بن عقیل الحضرمي الشافعي في "النصائح الكافية": «وأظن أن الشيخ [أي: ابن حجر] الذي كان يضيف الصحابة عند الصلاة على محمد وآله [كغيره لا يجهلون أنه لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من أصحابه -رضي الله عنهم- أنه صلى على الصحب تبعاً للصلاة عليه ﷺ، أو أمر بها، لا في الصلاة ولا خارجها، وإنما قاسها من بعدهم على الصلاة على الآل، والقياس الذي ذكره فاسد؛ لعدم الاطراد، ولوجود الفارق»^(٢). فهذا علم من أعلام أهل السنة يثبت أن دليل الإضافة هو القياس، ويؤكد أن القياس في ذلك فاسد.

(١) سعادة الدارين، للنبهاني، ص ٣٠.

(٢) النصائح الكافية، ص ٢٩٦.

وقال الشيخ عبد الله الصديق الغماري في "القول المقتنع": «وننبّه هنا على خطأ وقع من جماهير المسلمين، قلّد فيه بعضهم بعضاً، ولم يتفطن له إلا الشيعة، ذلك أنّ الناس حين يُصلّون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يذكرون معه أصحابه، مع أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين سأله الصحابة فقالوا: كيف نصلي عليك؟ أجابهم بقوله: قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد... ولم يأت في شيء من طرق الحديث ذكراً لأصحابه، مع كثرة الطرق وبلوغها حدّ التواتر، فذكر الصحابة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم زيادةً على ما علّمه الشارع واستدراك عليه، وهو لا يجوز. وأيضاً فإن الصلاة حقٌّ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولآله، ولا دخل للصحابة فيها»^(١).

وبناءً على ما ذكر، فإنه لا يمكن أن يُشفع لمن يرغب في إضافة ذكر الصحابة في الصلاة الإبراهيمية بحجة عدم رغبته في أن يشابه الشيعة أو الرافضة في ولائهم لآل دون الصحابة، ويمكن النظر إلى موقف الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ لمعرفة رأيه في هذه المسألة، حيث يقول في كتابه في "الآلئ البهية": «كذلك في مسألة الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، الأصل فيها أنّ الصلاة عليه، عليه الصلاة والسلام وعلى آله كما جاء ذلك مبيناً في حديث أبي حميد وغيره في الصحيحين وغيرهما، فإنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم علّمهم أن تكون الصلاة عليه وعلى آله، فأدخل أهل السنّة إذا ذكروا الصلاة عليه، عليه الصلاة والسلام، وأرادوا أن

(١) القول المقتنع في الرد على الألباني المبتدع، ص ١٢.

يذكروا الآل، أدخلوا معهم الصحابة، فقالوا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ولم يقتصروا على الآل، وهذا عند أكثر أهل السنة لأجل ألا يشابهوا الرافضة والشيعة في توليهم لآل دون الصحب^(١).

إن كلام هذا الشخص هو من الأقوال المثيرة للدهشة، حيث يعترف بعدم مشروعية الصلاة على الصحابة بسبب عدم وجود نص صريح يأمر بذلك. لكنه في المقابل يدخل ذكر الصحابة في الصلاة من باب عدم التشبه بالرافضة والشيعة، الذين يلتزمون بالسنة النبوية.

نحن في حيرة - حقيقة - حيال ما يقال هنا، فهل الدين هو مجرد لعبة يتلاعب بها أصحاب المذاهب، حيث يدخلون فيه ما يرونه مناسباً بناء على آرائهم المذهبية حتى وإن لم يكن هناك دليل واحد من الكتاب والسنة يدعم ما يفعلونه؟!!

هذا، مع ما ثبت أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أخرج آل عقيل وآل جعفر وآل عباس وغيرهم من عنوان آل البيت، وذلك لما حدّد المراد من أهل بيته عند نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، حيث جلّل علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام بكساء له صلى الله عليه وآله وسلم وقال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي"، فدّل على أنه ليس هناك أحد غيرهم يشملهم وصف أهل البيت النبوي.

فقد روى أحمد في مسنده وغيره بأسانيد ثلاثة، شهد الشيخ

(١) اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية، ج ٢، ص ٤١٠.

شعيب الأرنبوط بصحتها، أنه عند نزول هذه الآية المباركة جليل النبي ﷺ علياً وفاطمة والحسن والحسين بكساءٍ له، وقال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي" ^(١).

وقال ابن تيمية في "منهاج السنة": «وأما حديث الكساء فهو صحيح، رواه أحمد والترمذي من حديث أم سلمة، ورواه مسلم في صحيحه من حديث عائشة. قالت: «خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - ذات غداة، وعليه مرط مرحّل من شعرٍ أسود، فجاء الحسن بن علي، فأدخله، ثم جاء الحسين، فأدخله معه، ثم جاءت فاطمة، فأدخلها، ثم جاء عليٌّ، فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾» ^(٢).

وقال الشوكاني في "إرشاد الفحول": «قد ورد بالدليل الصحيح أنها نزلت في عليٍّ وفاطمة والحسين» ^(٣).

وقال أحمد بن محمد الشامي في "جناية الأكوع": «وقد أجمعت أمهات كتب السنة وجميع كتب الشيعة على أن المراد بأهل البيت في آية التطهير النبي ﷺ وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين، لأنهم الذين فسر بهم رسول الله ﷺ المراد بأهل البيت في الآية، وكلُّ قول يخالف قول رسول الله ﷺ من بعيدٍ أو قريب مضروب به عرض الحائط، وتفسير الرسول ﷺ أولى من تفسير غيره، إذ لا أحد أعرف منه بمراد ربه» ^(٤).

(١) انظر: مسند أحمد، ج ٤٤، ص ١١٩.

(٢) منهاج السنة النبوية، ج ٥، ص ١٣.

(٣) إرشاد الفحول، ج ١، ص ٢٢٢.

(٤) جناية الأكوع، ص ١٢٥.

قال الآلوسي في تفسيره "روح المعاني": «وأخبار إدخاله صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة وبنيتها (رضي الله تعالى عنهم) تحت الكساء، وقوله (عليه الصلاة والسلام): "اللهم هؤلاء أهل بيتي" ودعائه لهم، وعدم إدخال أم سلمة أكثر من أن تحصى، وهي مخصّصة لعموم أهل البيت بأي معنى كان. فالمراد بهم مَنْ شملهم الكساء، ولا يدخل فيهم أزواجه»^(١).

والأحاديث المتضمنة لهذا المعنى مستفيضة إن لم نقل متواترة، وهي أكثر من أن نحصيها.

وأما رواية ابن سعد في قول علي عليه السلام لما غُسل عمر، وكُفن، وحُمِل على سريره وقف عليه، وقال: "صلى الله عليك"، فقد ضعّفها المقرّيزي في الإمتاع، فقال: «إن ابن سعد لم يسند حديثه، بل قال في الطبقات: أخبرنا بعض أصحابنا عن سفيان بن عيينة أنه سمع منه هذا الحديث عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله، فذكروه، فقال: لما انتهى إليه، فقال: صلى الله عليك، وهذا الرجل المهم لم يحفظه، فلا يحتج به، وقد عارضه قول: عبد الله بن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنهما: لا ينبغي الصلاة على أحد إلا على النبي صلى الله عليه وسلم»^(٢).

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



(١) روح المعاني، ج ٢٢، ص ١٤.

(٢) إمتاع الأسماع، ج ١٠، ص ٣٧٨.

الدين لا يُصنّف بناءً على تصرفات المتديّنين

المستشكل: أبو زمن
الاستشكال: هنالك زعماء دينٍ ارتكبوا جرائم، وهذا دليلٌ كافٍ على
أنّ الدين قوةٌ شريرة.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله
المطهرين..

الادّعاء بوجود زعماء دينٍ ارتكبوا جرائم، لا يبرر تصنيف
الدين على أنه قوة شريرة؛ إذ ليس هناك أي ترابطٍ منطقيٍّ بين
ارتكاب بعض الأفراد المرتبطين بالدين لجرائم، وبين وصف الدين
بأنه قوة شريرة. يُشبه هذا القول الادّعاء بأن بعض الآباء ارتكبوا
جرائم ضد أبنائهم، إذن فإن الأسرة تُعدّ قوة شريرة وبيئة غير آمنة
للأطفال، وهذا غير منطقيٍّ، ولا يتّبعه العقلاء في ربط الأمور.

أما الدين فلا يصبح قوة شريرة إلا إذا دعا أتباعه لارتكاب

الشر، وحرّضهم على ارتكاب الجرائم، وإلا فهو في جوهره ليس قوة شريرة بناءً على تصرفات أفراد يدعون الانتماء إليه، والإسلام هو دين الرحمة والإنسانية، ويحث على ضرورة إقامة العدل والاعتدال في جميع الأمور. ويحث المؤمنين على أن يكونوا قوامين لله، وينصّ على عدم الانحياز ضد أي قوم بغضّ النظر عن خلافاتهم مع الآخرين؛ وذلك لأن العدالة هي أقرب للتقوى، يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾^(١).

ومن ناحية أخرى، يمكننا أن نستخدم المنهجية نفسها التي اعتمدها الملحد في تصنيف الدين على أنه قوة شريرة، فنصنّف الإلحاد على أنه أحد أبرز قوى الشر. فقد عبّر الكاتب الأمريكي "دينيس دسوزا" (Dinesh D'Souza) عن العلاقة الفلسفية بين الإلحاد والجرائم التي يرتكبها معتنقو هذا الاتجاه بقوله: «وقد ارتكبت جرائم الإلحاد عموماً من خلال أيديولوجية متغترسة ترى الإنسان هو صانع القيم، وليس الله. وباستخدام أحدث تقنيات العلم والتكنولوجيا، يسعى الإنسان إلى تهجير الله وخلق جنة العلمانية هنا على وجه الأرض. وبطبيعة الحال إذا كان هناك بعض الناس كاليهود، ملاك الأراضي، وغير الأكفاء أو المعاقين فيجب القضاء عليهم من أجل تحقيق هذه المدينة الفاضلة (الجنة)، هذا هو الثمن الذي أبدى الطغاة الملحدون -ومن يعتذر لهم- استعدادهم لدفعه.

وهم هنا يؤكدون مقولة فيودور دوستويفسكي "إن لم يكن هناك إله، فكل شيء مسموح به" ^(١).

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



(١) مركز يقين - من مقال للكاتب الأمريكي - الهندي دينيش دسوزا.

القرآن الكريم رسالة إلهية بألفاظه ومعانيه

السائل: الشيخ حيدر المياحي

الاستشكال: يقول بعض من أعرفهم في نقاشٍ جرى بيني وبينه: "إن القرآن الذي نزل من عند الله تعالى هو فقط المعاني والمعارف التي نقلها جبريل إلى النبي الأكرم، وهو ممن قام بصياغتها بالألفاظ والجمل. ثم قدّم القرآن مكتوباً للمسلمين". نحتاج جوابكم، بارك الله فيكم.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

هذا الكلام يحتوي على مغالطة واضحة، وهي "تشويه المصطلح أو المفهوم"؛ إذ قام بتشويه مفهوم القرآن الكريم، الذي يُعدّ كلام الله بلفظه ومعناه، بوصفه بأنه "معاني ومعارف نقلها جبريل إلى النبي، وصاغها بالألفاظ والجمل"، وهذا مفهومٌ غير دقيق للقرآن الكريم.

إذاً، المغالطة هنا تكمن في تصوير القرآن على أنه نصٌّ صاغته

يدُّ بشرية في حين أن معانيه إلهية! وهذا التصوير غير دقيق، ويحرّف فهم القرآن الحقيقي وطبيعته.

لا إشكال، ولا خلاف بين المسلمين في أن القرآن هو المعجزة الخالدة للنبي الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم، فمنذ أن عرف المسلمون الوحي السماوي، كان الاعتقاد السائد بينهم - وهو مستمر حتى يومنا هذا - أن القرآن الكريم بكل معارفه السماوية ومضامينه الإلهية - المعبر عنها في ألفاظه وجمله وتراكيبه المعهودة - قد نزل على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وقد عدّ المسلمون ذلك ضرورة دينية، وقد قدّمت أدلة كثيرة تؤكد سماوية ألفاظ القرآن وبنيته الظاهرية، من نحو قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾^(١)، وفي قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾^(٢)، وفي قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾^(٣)، فهذه الآيات تعلن صراحة أن القرآن كلام الله تعالى لفظاً ومعنى؛ إذ عندما يكون للقائل عمل رئيس في اختيار وتنظيم الكلام وصياغة الجمل والتراكيب، تكون نسبة الكلام إليه صحيحة ومنطقية ومعقولة. أما عندما يتلقى شخص مفاهيم من آخر، ثم يحولها إلى صيغ لفظية بنفسه، فينبغي أن يُنسب الكلام إلى هذا الشخص، ولن تكون نسبتها إلى الملّقن منطقية ومقبولة عمومًا^(٤).

(١) التوبة: ٦.

(٢) البقرة: ٧٥.

(٣) الفتح: ١٥.

(٤) يُنظر: التمهيد في علوم القرآن، ج ١، ص ٣١٠؛ مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ١، ص ٤٤.

ومعلومٌ أنّ بنية القرآن الظاهرية وأسلوبه البديع، وبلاغته الفريدة، وفصاحته الاستثنائية، تشكل الجزء الأكبر من إعجازه، الأمر الذي أطبق عليه العلماء في ميادين فنون الكلام العربي، هذا، مع الالتفات إلى أن رسالة القرآن في التحدي تدعو الجميع إلى الإتيان بمثل القرآن، من حيث بنيته الظاهرية وقالبه اللفظي، ليثبتوا دعواهم.

فهذا التحدي، وعجز المشركين عن الإتيان بمثله، يُعدّ دليلاً بارزاً على أنّ البنية الظاهرية للقرآن وقالبه اللفظي هو من عند الله تعالى، ولم يكن هناك دخلٌ للنبي ﷺ في صياغته. يقول الزرقاني في بيان هذا الدليل: «إنّ الإعجاز منوطٌ بألفاظ القرآن، فلو أُبيح أدأؤه بالمعنى لذهبَ إعجازه، وكان مظنةً للتغيير والتبديل»^(١).

ومن الآيات الدالة على سهاوية ألفاظ القرآن، قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ^(٣)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾^(٤).

هذه الآيات تنص بصراحة ووضوح على نسبة تركيبة القرآن وألفاظه العربيّة إلى الله سبحانه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ١، ص ٤٤.

(٢) الزخرف: ٣-٤.

(٣) يوسف: ١٢.

(٤) الأحقاف: ١٢.

عَرَبِيًّا، و**لِسَانًا عَرَبِيًّا**؛ إذ من الواضح أن (اللسان) و(العربية) لا ربط لهما بالمضمون أبدًا؛ حيث يُعَدُّان من خصائص تكوين الكلمات والهيكل الظاهري للنص، ولا حاجة لتوضيح أو تحليل إضافي، حيث يكمن وضوح المعنى في ذاته.

وفي آيات أخرى نص القرآن الكريم بوضوح على عدم تدخل النبي ﷺ في صياغة ألفاظه، وأن تبعيته محضة للوحي الإلهي في ذلك، كقوله تعالى: **﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾**^(١)، وقوله تعالى: **﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾**^(٢)، وقوله تعالى: **﴿وَآتِلْ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾**^(٣).

وهناك مجموعة أخرى من الآيات تصرح بقراءة القرآن وتلاوته وإلقائه على النبي ﷺ كقوله تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾**^(٤)، وقوله تعالى: **﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۖ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾**^(٥)، وقوله تعالى: **﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾**^(٦).

(١) يونس: ١٥.

(٢) النجم: ٣-٤.

(٣) الكهف: ٢٧.

(٤) الفرقان: ٣٢.

(٥) القيامة: ١٧-١٨.

(٦) يونس: ١٦.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾^(٢).

ومعنى القراءة والتلاوة في الآيات الكريمة بحسب المفهوم العرفي معلوم. وأما بحسب اللغة فقد جاء في بعض المعاجم: «قرأت القرآن: لفظت به، وفي معناه التلاوة»^(٣). وجاء في بعضها الآخر: «القراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، والتلاوة تختص باتباع كتب الله المنزلة تارة بالقراءة وأخرى بالارتسام»^(٤).

ومعنى الترتيل: «رتل: استوى، وانتظم، وحسن تأليفه، ورتل الشيء: نسّقه، ونظمه. ورتل: جوّد تلاوته»^(٥).

وبإنعام النظر في المفردات الواردة في تلك الآيات: ﴿نَتْلُوهَا﴾ و﴿تَرْتِيلًا﴾ و﴿قَرَأْنَاهُ﴾ و﴿قَوْلًا﴾ ستلحظ بوضوح أن مفهوم (التلاوة) و(القراءة) و(الترتيل) و(إلقاء القول) تندرج جميعها تحت مجال الألفاظ والتعابير. ومن الواضح أن هذه المصطلحات لا تحمل أي ارتباط بمضمون أو معنى النص، ومن التأمل العميق والفحص الدقيق للآيات المتقدمة، بالإضافة إلى العديد من الآيات التي تبين

(١) البقرة: ٢٥٢.

(٢) المزمل: ٥.

(٣) لسان العرب، ج ١، ١٢٨-١٢٩، مادة "قرأ وتلا".

(٤) مفردات الراغب، ص ٧٥، مادة "قرأ وتلا".

(٥) المعجم الوسيط، ج ١، ص ٣٢٧.

كيفية نزول الوحي على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، يتضح بما لا يترك مجالاً للشك في أن ألفاظ القرآن، وتكوينه الظاهري، بالإضافة إلى محتواه السامي، أنه قد نزل من عند الله سبحانه على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وأن وظيفة الوحي والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم تكن سوى الوساطة في تلقي هذا المكتوب والمقروء، وإبلاغه إلى الناس.

وفي قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾^(١) المراد من القرآن هو هذا الذي بين أيدينا، وأنه هو الذي يقرأه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الناس، امثالاً لقوله تعالى: ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ﴾، فالله تعالى عندما يقول: ﴿نَحْنُ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ﴾ ﴿وَفَرَقْنَاهُ﴾... إلخ إنما يريد أن هذا القرآن الذي بين أيدي المسلمين بلفظه ومعناه منزل من عنده، لا أنه أنزل معانيه، ثم جعل له النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو جبرئيل لفظاً، فإنّ هذا يكون مجازاً، لا يصار إليه إلا بقرينة، وهي مفقودة هنا^(٢).

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المتّجبين.



(١) الإسراء: ١٠٦.

(٢) يُنظر: بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، للزرندي، ص ٨٥.

معجزة خلق الطير من الطين في القرآن والإنجيل

السائل: الشيخ مالك الإبراهيمي

الإشكال: يعترض علينا البعض بأن معجزة نبي الله عيسى بن مريم -وهي أنه صنع من الطين طيرًا- غير ثابتة في الأنجيل، وهي ليست موجودة إلا في القرآن.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

هذه محاولةٌ بائسةٌ من معترضٍ يتذاكى موهماً نفسه إثبات أن الأنجيل مصدرُ القرآن الكريم، كما هي دعواهم المعروفة -التي بان خطؤها، واتضح وهنها- بأن ما في القرآن مقتبس من الكتب السماوية السابقة عليه، ففي حال أثبت المسلم الأمر الذي يعترض عليه المعترض في القرآن، وبين أن هذا الأمر موجود أيضاً في الأنجيل على النحو الذي ذكر في القرآن، سيعتقد المعترض أنه قد ثبت وجهة نظره بأن الأنجيل هي مصدر القرآن، وفي حالة عدم وجود ذلك الأمر في الأنجيل مع وجوده في القرآن، يظن المعترض

أنه قد أثبت بذلك أن القرآن قد جاء بشيء جديد، لم يكن موجوداً في الكتب السماوية السابقة عليه، مما يظهر طابعه الأسطوري.. وجميع ذلك محض وهم وخطر جهل وتضليل، ليس غير.

وكيفما كان، فهذا الاعتراض الضحل لا يُنقص من عظمة القرآن الكريم في أنه معجزة بذاتها، وبالمقابل، لا يُضفي هذا الاعتراض أيّ جوانب إضافية من الإعجاز على القرآن الكريم؛ لأن فاقده الشيء لا يعطيه. وعلاوةً على ذلك، فإن تحدي القرآن لكل معترض - وجد أو سيوجد مستقبلاً - لا يزال قائماً أمام جميع أهل الدنيا، على رغم التقدم العلمي الهائل الذي تحقق حتى الآن، وسيبقى هذا التحدي قائماً حتى قيام يوم الدين.

مضافاً إلى كون القرآن المعجز الخالد بتحديثه القائم إلى قيام يوم الدين، فإن مصدر جميع الكتب السماوية - التوراة والإنجيل والقرآن - واحد، وهو الله عز وجل، قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ^(١)، إلا أن الدلائل التاريخية القطعية تثبت أن نسخ التوراة تعرضت للتحريف مراراً خلال فترات مختلفة من الأحداث التاريخية، وخصوصاً أثناء هجوم "نبوخذ نصر" على اليهود، حيث فقدت معظم النسخ، ثم حرّرت لاحقاً من قبل عدد من الأخبار^(٢).

(١) آل عمران: ٢-٣.

(٢) يُنظر: كتاب القاموس المقدس والهدى إلى دين المصطفى.

وقد شهد الله عزَّ وجلَّ بتحريف اليهود للتوراة، وأبان عن هذا في القرآن الكريم بقوله سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾^(١).

كما يوثق التاريخ أن الأناجيل الأربعة كُتبت بعد زمنٍ من وفاة المسيح عليه السلام، وهذا يشير إلى عدم وجود أثرٍ ملموس للإنجيل الأصلي الذي نزل على أنه كتاب سماوي على عيسى عليه السلام^(٢)..

كل هذا بخلاف القرآن الكريم، فهو خاتمة كتب السماء، وقد تولى الله سبحانه حفظه، ولم يكِل أمرَ حفظه إلى أحدٍ من البشر؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٣).

وبعدما أصبح معلومًا أن مصدر الكتب السماوية -التوراة والإنجيل والقرآن- هو الله عزَّ وجلَّ، وتبين أن التوراة والإنجيل قد تعرضا للتحريف والتزوير، الأمر الذي أكدته القرآن الكريم، ودعمته الحقائق التاريخية القطعية، تبرز واقعية أن القرآن الكريم قد حظي بحفظٍ إلهيٍّ مطلق. وفي مقابل ذلك، يظل تحدي القرآن قائمًا حتى قيام يوم الدين.

(١) الأنعام: ٩١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الحجر: ٩.

وبناء على ما تقدم، نجيب عن الاعتراض (أن معجزة نبي الله عيسى -وهي أنه صنع من الطين طيرًا- غير ثابتة في الأناجيل، وهي ليست موجودة إلا في القرآن)، فنقول:

قد ذكرت معجزة نبي الله عيسى عليه السلام وهي خلقه "من الطين كهيئة الطير" في موضعين من القرآن الكريم، في الأول قال تعالى: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١)، وفي الثاني قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾^(٢).

وذكر نظيرها في "إنجيل الطفولة" لتوما الإسرائيلي، وذلك في الإصحاح الثاني في الأعداد الآتية:

(١) عندما كان الصبي يسوع في الخامسة من عمره، كان يلعب في غدير ماء، ويقوم بجمع الماء في حُفَرٍ، ثم يتمم بكلمات، فينضب الماء من الحفر.

(٢) وفي يوم سبتٍ صنع من طمي ناعم كهيئة الطير، اثني عشر عصفورًا، بحضرة أطفال كانوا يلعبون معه.

(٣) وبعدها تم خلقهم، في لعبته هذه، في يوم السبت، رآه إنسان.

(١) آل عمران: ٤٩.

(٢) المائدة: ١١٠.

وذهب ليخبر أباه يوسف قائلاً: انظر إلى صبيك. إنه كَسَرَ حُرْمَةَ السبت، فقد عمل من الطين اثني عشر عصفورًا، وهو الآن واقف في غدير ماء.

(٤) فحضر يوسف إلى المكان، ولما رأى ذلك، صرخ في وجهه قائلاً: لماذا تفعل في يوم السبت ما لا يحلّ لك أن تفعله؟ فلم يلتفت إليه، وصفّق بيديه، وصاح على الطير: أن طيروا، فأخذت العصافير في الطيران رويدًا رويدًا. وهي ترقزق.

(٥) فاندesh اليهود مما رأوا، وانطلقوا وأخبروا كهنتهم بما فعله يسوع^(١).

ومسألة ما إذا كان هذا الإنجيل (إنجيل الطفولة) مُعترفًا به أو غير مُعترف به، ليست لها أهمية بالنسبة لنا، ما يهمنا بنحو أساس هو إثبات وجود تلك المعجزة في أحد الأناجيل، هذا، مع الالتفات إلى أنه قبل مجمع نيقية، كان هناك عدد كبير من الأناجيل، حيث بلغ عددها تقريبًا المائة إنجيل، ومن بينها اختيرت الأربعة الحالية التي بين أيدينا، وهي التي لم تتعرض لذكر تلك المعجزة، والسبب كما يعزوه كاتب إنجيل يوحنا في آخر إنجيله الإصحاح ٢٠ عدد ٣٠: «وآيَاتٍ أُخَرَ كَثِيرَةً صَنَعَ يَسُوعُ قَدَّامَ تَلَامِيذِهِ لَمْ تُكْتَبْ فِي هَذَا الْكِتَابِ. وَأَمَّا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، وَلِكَيْ تَكُونُوا لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةً بِاسْمِهِ».

(١) إنجيل الطفولة، لتوما الإسرائيلي، الإصحاح الثاني، ص ٣٠-٣١، ترجمة أحمد السقا.

فقد بين يوحنا أن الأناجيل لم تذكر كل مراحل حياة المسيح **عليه السلام**، فلم تتكلم عن كل معجزاته، وبين سبب كتابته لإنجيله قائلاً: «كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، وَلِكَيْ تَكُونُوا لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةً بِاسْمِهِ».

ثم قال يوحنا في الإصحاح ٢١ عدد ٢٥: «وَأَشْيَاءُ أُخَرُ كَثِيرَةٌ صَنَعَهَا يَسُوعُ، إِنْ كُتِبَتْ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، فَلَسْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَالَمَ نَفْسَهُ يَسَعُ الْكُتُبَ الْمَكْتُوبَةَ. آمِينَ».

وهذا النص يصرح بحقيقة ما أشرنا إليه، **﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾**.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



الإيمان بالله محتمل الوجود ورهان باسكال

المستشكل: نسيم الدر

الاستشكال: يمكننا أن نحقق حياة أفضل إذا اخترنا الرهان على عدم وجود إله، وإن وجد فهناك احتمال ضئيل لوجوده، في حين لا تتحقق تلك الحياة إذا اخترنا الرهان على وجوده؛ لأن بذلك تفريط لوقتنا الثمين في العبادة، وفي تقديم الأضاحي، وفي المشاركة في القتال والتضحية من أجل ذلك الإله المحتمل الوجود، ولكن يمكننا أن نحقق حياة أفضل عبر التفكير في افتراض عدم وجوده. فلا نشغل أنفسنا، ونخسر فرصة العيش بأفضل طريقة في هذه الحياة، ونعيشها بشكل تعسٍ لمجرد احتمال ضئيل بوجود إله.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله

المطهرين..

يظهر أن الملحد يفكر في اتجاهٍ مخالف للمنطق والعقل في سياق

وجود الاحتمال؛ إذ عندما يكون هناك احتمال وجود شيء معين، فإنه ليس ممثلاً لاحتمال عدم وجود ذلك الشيء. فعلى سبيل المثال إذا كان هناك احتمال لكون شخص ما مريضاً، فإن هذا لا يماثل بالضرورة احتمال عدم وجود المرض. وبمثال آخر، عندما يتوقع شخص سقوط المطر، فإنه سيأخذ إجراءات تتناسب مع هذا التوقع، وسيحمل مظلة على سبيل الاستعداد. ومن هنا، يتضح أن وجود الاحتمال يحفز الشخص على اتخاذ خطوات مناسبة تعكس تلك الاحتمالية.

وإذا نظرنا في الحالة المعاكسة، أي عند احتمال عدم وجود مطر مثلاً، أو عدم وجود مرض، فإن ذلك لا يحفز بنحو تلقائي لاتخاذ إجراءات. وبمعنى آخر، إذا افترضت أن هناك احتمالية للوجود فستتحرك لاتخاذ إجراءات تتفق مع تلك الاحتمالية، ولكن إذا افترضت أن هناك احتمالية للعدم، فلن تتخذ أي إجراء. ويمكننا القول: إنه عندما تحتمل وجود شيء معين، ستتصرف استناداً إلى تلك الاحتمالية، بينما في حالة الاحتمالية للعدم، قد لا تتخذ أي إجراء.

وهنا يكمن الخطأ في تفكير الملحد، حيث قام بخلط الأمور. فمع وجود احتمال للوجود، اعتقد أنه يجب علينا عدم اتخاذ أي إجراء يتناسب مع هذا الاحتمال، فعلى رغم احتمال وجود الله، لم يقم الملحد بأي تفاعل أو تصرف تجاه هذا الاحتمال. فهذا التصرف يتعارض مع العقلانية والمنطق السليم، حيث ينبغي أن تكون

الاستجابة للاحتتمالات بنحو توازني وعقلاني.

والخطأ الثاني الذي وقع فيه الملحد يتعلق بقضية المراهنة. فعندما تكون غير متأكد من أنه أيّ الجوانب هو الصحيح وأيها هو الموجود، يمكنك أن تلجأ إلى المراهنة على أحد الجوانب. وهذا يعني أنك تتخذ تصرفاً استناداً إلى الاحتمالية. ومن الجدير بالذكر أن هذا التصرف مقبول ومنطقي في حالة عدم المعرفة.

ومع ذلك، قدم الملحد وجهة نظرٍ تعارض هذا المبدأ. حيث قام بتقديم فكرة أنه ينبغي ألا تتم المراهنة في حالة وجود احتمال لوجود الله، وعلى رغم اعتماده احتمال وجود الله فإنه لم يتخذ أي إجراء. وهذا ما يناقض منطق العقل والتصرف العقلاني.

وفي الواقع، أن احتمال وجود الله ينبغي أن يدفع الإنسان للبحث والسعي، حتى إذا تسبب هذا البحث في خسارة. فالامتناع عن البحث وعدم الوصول للحقيقة يُعدّ خسارة أيضاً، وذلك بالإضافة إلى الخسارة الكبيرة في الحياة الآخرة. ويمكننا القول أن التوجه أو السلوك الطبيعي لمواجهة احتمال وجود الله ينبغي أن يدفعنا للتحرك والبحث، حتى إذا كان هذا البحث يحمل معه خسارة محتملة؛ لأن الجهل وعدم البحث هو أيضاً نوع من الخسارة.

وقد وضع العالم باسكال ما يُعرف بمعادلة "رهان باسكال"، حيث قام بتوضيح هذه الموازنة بين الربح والخسارة، فأوضح

باسكال أن هناك احتمالية لوجود الله في حالة الإيمان. وفي هذه الحالة يكون هناك ربح كبير في الحياة الآخرة مقابل خسارة محدودة في هذه الدنيا. وبالمقابل، في حالة عدم الإيمان، يكون هناك خسارة كبيرة في الحياة الآخرة مقابل ربح ضئيل في الدنيا. وهذا التفسير الذي قدمه باسكال هو أكثر منطقيةً من وجهة نظر الملحد.

ومن زاوية علم الكلام الإسلامي، يمكننا القول: إن هناك اثنين من الأمور التي يجب على كل عاقل القيام بها في حالة احتمال وجود الله:

الأمر الأول: هو التصدي للضرر المحتمل، فمن يأخذ في اعتباره احتمال وجود الآخرة وعواقبها المحتملة - على سبيل المثال "عذابها" - فعليه أن يسعى جاهداً لتجنب هذا الضرر ودفعه.

الأمر الثاني: وجوب شكر المنعم، فمن يأخذ في الاعتبار احتمال وجود الله الذي خلقه، وأنعم عليه، فإنه لا بد له من أن يسعى للبحث عنه لمعرفة وشكره.

وبالنسبة لقول الملحد في الإشكال المطروح بأن الرهان على وجود الله يمكن أن يؤدي إلى خسارة، نجد أن هذا القول يشير إلى عدم فهم الجانب الحقيقي للعبادة. وفي الحقيقة، أن الإنسان في عبادته لله لا يعطي شيئاً لله، بل عبادته لله عز وجل تعزز قيمته، وفيها ينال من الله العون والرشاد، ويسعد بالنعيم الأبدي، فقد ورد في

بعض الروايات أن رجلاً سأل الإمام الصادق عليه السلام: لماذا خلق الله الخلق؟ فأجابه الإمام عليه السلام بـ: «أن الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً، ولم يتركهم سدى، بل خلقهم لإظهار قدرته، وليكلفهم طاعته، فيستوجبوا بذلك رضوانه، وما خلقهم ليجلب منهم منفعة، ولا ليدفع بهم مضرة، بل خلقهم لينفعهم، ويوصلهم لنعيم الأبد»^(١).

ونتيجة لذلك، يمكننا أن نقول بأن العبادات هي السبيل الذي يُهَيِّئ للإنسان حياة مُستدامة وسعيدة. فبأداء الصلاة يُحافظ الإنسان على ابتعاده عن الأعمال السيئة والمنكرات. وبتقديم الزكاة، يتحقق التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، وتعزز روح التراحم والتضامن. وأما الصيام، فيُعزز الوعي بالفقراء والمحتاجين، ويُعزز الشعور بالتواضع.. فهذه التشريعات، إلى جانب غيرها، تعمل جميعها على رفع مستوى الفرد والمجتمع إلى أعلى مراتب الأخلاق والتطور. إنها تساهم في بناء الإنسان من الداخل، فتؤثر بنحوٍ إيجابي على المجتمع بأكمله. ولا يمكن تحقيق حياة سعيدة ومستدامة إلا ببناء الإنسان والمجتمع بالقيم والأخلاق السامية التي تُعززها هذه التشريعات.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



صلاة عليّ خلف أبي بكر صلاة مظهر لا مقتد

السائل: أحمد

السؤال: السلام عليكم.. وردت بعض الروايات تقول: إن عليّاً عليه السلام صلى خلف أبي بكر، ما مدى صحة هذه الروايات، وكيف توجّه؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

جاء في "تلخيص الشافي" للشيخ الطوسي: «الصلاة خلفهم على ضربين: صلاة مقتد مؤتم بإمامه على الحقيقة، وصلاة مظهر للاقتداء والائتمام وإن كان لا ينويها، فإن ادّعى على أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام أنه صلى ناوياً للاقتداء، فيجب أن يدلوا على ذلك، فإننا لا نسلّمه، ولا هو الظاهر الذي لا يمكن النزاع فيه. وإن ادّعوا صلاة مظهر للاقتداء فذلك مسلّم لهم؛ لأنه الظاهر. إلا أنه غير نافع فيما يقصدونه، ولا يدلّ على خلاف ما يذهب إليه في أمره عليه السلام، فلم يبق إلا أن يقال: فما العلة في إظهار الاقتداء بمن لا

يجوز الاقتداء به؟ فالعلة في ذلك غلبة القوم على الأمر وتمكُّنهم من الحلّ والعقد؛ لأن الامتناع من إظهار الاقتداء بهم مجاهرة ومنازمة، وقد قلنا فيما يؤدي ذلك إليه في ما فيه كفاية»^(١).

وصرحت بعض الروايات بأن الصلاة خلفهم ليست اقتداءً، ولا تعدُّ ذات قيمة، كما في خبر زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام، فقد روى الشيخ الكليني في الكافي بسندٍ ينتهي إلى زرارة أنه قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن الصلاة خلف المخالفين، فقال: ما هم عندي إلا بمنزلة الجدر»^(٢).

وقال العلامة المجلسي في المرأة: «الحديث الثاني صحيح»، ثم أردف ذلك ببيان المراد من كلمة (الجدر) قائلاً: «قوله عليه السلام: "بمنزلة الجدر" أي لا يُعتدُّ بصلاتهم وقراءتهم، ولا يضر قربهم، ويحتمل أن يكون المراد النهي عن الاقتداء بهم»^(٣).

وفي هذا السياق يقول السيد الخوئي قدس سره: «إن الصلاة معهم ليست كالصلاة خلف الإمام العادل، وإنما هي - على ما يُستفاد من الروايات - صورةُ صلاةٍ، يحسبها العامةُ صلاةً وائتماماً بهم، ومن هنا لم يرد في الروايات عنوان الاقتداء بهم، بل ورد عنوان الصلاة معهم، فهو يدخل الصلاة معهم، ويؤذّن، ويقيم، ويقرأ لنفسه على نحو لا يسمع همسه، فضلاً عن صوته. ولا دلالة في شيء من الروايات على

(١) تلخيص الشافي، ج ٢، ص ١٥٨.

(٢) الكافي، ج ٣، ص ٣٧٣.

(٣) مرآة العقول، ج ١٥، ص ٢٥٥.

أنها صلاة حقيقة، وقد ورد في بعضها: ما هم عنده عليه السلام إلا بمنزلة الجدر، إذن لا تكون الصلاة معهم كالصلاة خلف الإمام العادل، بل إنما هي صورة الائتنام لتحسبوها كذلك من دون أن تسقط القراءة والإقامة ولا غيرهما؛ لأنهم ليسوا إلا كالجدر»^(١).

وقد وردت عندنا روايات صرحت بأن الإمام علياً عليه السلام صلى خلف أبي بكر، إلا أنه أعاد صلاته، فقد روى الشيخ الكليني في الكافي عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن حماد عن حريز عن زرارة، أنه قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: إن أناساً رووا عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنه صلى أربع ركعات بعد الجمعة لم يفصل بينهن بتسليم؟ فقال: يا زرارة، إن أمير المؤمنين عليه السلام صلى خلف فاسقٍ، فلما سلم، وانصرف قام أمير المؤمنين عليه السلام، فصلى أربع ركعات لم يفصل بينهن بتسليم، فقال له رجل جنبه: يا أبا الحسن صليت أربع ركعات لم تفصل بينهن؟ فقال: إنها أربع ركعات مشبهات، وسكت، فوالله ما عقل ما قال له»^(٢).

وأوضح العلامة المجلسي في "مرآة العقول" المراد من قوله عليه السلام: «أربع ركعات مشبهات»، قائلاً: «أي مشتبّهات، لا يُعرف ما هنّ، أو بكسر الباء، أي يوقع الناس في الشبهة في عدالة الإمام، وفي بعض النسخ [مشتبهات].

(١) شرح العروة الوثقى، كتاب الطهارة، ج ٥، ص ٢٧٢.

(٢) الكافي، ج ٣، ص ٣٧٤.

والحاصل: أنه عليه السلام صلى تقيّة الجمعة خلف خلفاء الجور، ثم أعاد الصلاة ظهرًا، فلما سأله السائل عن ذلك أجاب بما يفهمه المحقق، ويشتهه على المخالف، وقد كان عليه السلام يصلي ركعتين بعد الجمعة من غير تسليم قبلهما، ويقول: هما ركعتان مشبهتان، وكلاهما حسن»، هذا بعد أن قال: «الحديث السادس: حسن»^(١).

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



(١) مرآة العقول، ج ١٥، ص ٢٥٧.

الولاية امتداد للرسالة

المستشكل: سامي النمر

الاستشكال: هل تسقط الرسالة ببداية الولاية؟ بمعنى أنه هل انتهت الرسالة بموت النبي عليه الصلاة والسلام، واحتاج الناس للولاية بدل الرسالة لأن صاحبها مات؟ أقنعوني بالدليل يا شيعة!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

يظهر أن الكاتب ليس في سياق الاستفهام العابر، بل هو يعبر عن توجُّهه نحو إثارة شك مقصود، يتجلى هذا الأمر بوضوح من ختام عبارته حين يقول (أقنعوني بالدليل يا شيعة)، وعمومًا، تعكس هذه الجمل المكتوبة علاماتٍ، إما على عدم إلمام الكاتب بما ثبت عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من نصوصٍ تؤكد ولاية عليٍّ عليه السلام من بعده، أو تجاهله لتلك النصوص والتعامل معها بالرفض والعناد،

والعياذ بالله. وبغض النظر عما إذا كان المقصودُ هو استفهامًا بسيطًا، أو تشكيكًا مقصودًا، سنقوم بالردِّ على ما طُرِحَ.

الولاية هي جوهر الحكم وحقيقته، وليس لحاكمية أحدٍ على آخر معنى غير تقديم إرادة الحاكم على المحكومين وتحكيمها عند تزامم الإرادات..، وهذه الولاية ثابتةٌ لرسول الله ﷺ على الناس، وهي مُقرَّرةٌ من قبل الله سبحانه، يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾^(١)، قال الطبري في تفسيره للآية الكريمة: «يقول: أحقُّ بالمؤمنين به من أنفسهم، أن يحكم فيهم بما شاء من حكم، فيجوز ذلك عليهم، كما حدَّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، كما أنت أولى بعبدك، ما قضى فيهم من أمرٍ جاز، كما كلَّمنا قضيتَ على عبدك جاز»^(٢)، ولم يُذكر لهذه الأولوية اسمٌ غير (الولاية)، ولم ينفِ أحدٌ هذه (الأولوية) عن ولاية رسول الله ﷺ على أمته.

وهذه الولاية ثابتةٌ أيضًا لأئمة المسلمين وولاة الأمور من بعد رسول الله ﷺ، وهو ما يُفهم من نصِّ حديث (الغدير) المعروف عندما سأل رسول الله ﷺ جموعُ المسلمين في (غدير خم) عند عودته من حجة الوداع: «ألستُ أولى بكم من أنفسكم؟» قالوا: بلى. قال: «من كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه».

(١) الأحزاب: ٦.

(٢) تفسير الطبري، ج ٢١، ص ١٢٧.

وقد شهد كثيرٌ من علماء أهل السُّنة بدلالة هذا الحديث المتواتر على التنصيب، منهم الإمام الغزالي الذي قال في كتابه «سر العالمين» الموجود ضمن رسائل الإمام الغزالي^(١)، ما نصه: «لكنَّ أسفرتِ الحجة وجهها، وأجمع الجماهيرُ على متن الحديث من خطبته في يوم غدير خمٍّ باتفاق الجميع، وهو يقول: من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه. فقال عمر: بخ بخ يا أبا الحسن، لقد أصبحتَ مولاي ووليَّ كل مؤمنٍ ومؤمنة. فهذا تسليمٌ ورضىٌ وتحكيمٌ، ثم بعد هذا غلب الهوى لحب الرياسة، وحمل عمود الخلافة، وعقود البنود، وخفقان الهوى في قعقة الرايات، واشتباك ازدحام الخيول، وفتح الأمصار؛ فسقاهم كأس الهوى، فعادوا إلى الخلاف الأول، فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً».

وجاء أيضاً في حديثٍ صحيح رواه علماء أهل السُّنة في مجاميعهم الحديثية أنَّ النبي ﷺ قال: «عليٌّ منِّي، وأنا منه، وهو وليُّ كلِّ مؤمنٍ بعدي»^(٢).

فما المراد من كلمة (ولي) في هذا الحديث الشريف!؟

نقول: إن كلمة (ولي) هي من الألفاظ المشتركة في اللغة، بمعنى أنَّ لها عدة معانٍ، حالها حال كلمة (عين) التي تدل على عدة معانٍ من: الباصرة والنابعة والجاسوس وعين الذهب ونحوها.. واللفظ

(١) رسائل الإمام الغزالي، ص ٤٨٣.

(٢) راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٥، ص ٢٦١.

المشترك يستفاد معناه بمعونة القرائن اللفظية فيه.. فلو قلت مثلاً: رأيتُ عينا، وسكت.. فأنت لا تفهم المراد مني، بأنني: هل رأيت عين الماء أو أنني رأيت عينا باصرة أو أنني رأيت جاسوساً يتلصص علينا، ولكنني عند قولي: رأيت عينا باكية، تفهم من قولي بأنني رأيت العين الباصرة، بقرينة لفظة (باكية) في الكلام، وكذلك لو قلت لك: رأيت عينا باردة، تفهم من كلامي بأنني رأيت عين الماء بقرينة لفظة (باردة) في الكلام، وهكذا.

وبالرجوع إلى كتب اللغة نجد عدة معانٍ لكلمة (وليّ) في استعمالات العرب، فقد جاء في «صحيح اللغة»: الولي - القرب والدنو. يقال: تباعدَ بعدَ وليّ؛ وكلُّ ممّا يليك، أي: ممّا يُقاربُك؛ إلى أن يقول: والوليُّ ضدّ العدو، يقال: منه تولّوه. والمولى المعتق، وابن العم، والناصر، والجار. والولي الصهر؛ وكلُّ مَنْ وَلِيَ أَمْرَ واحدٍ فهو وليُّه. إلى أن يقول: والولاية بالكسر السلطان؛ والولاية بالكسر والفتح: النصر؛ وقال سيبويه: الولاية بالفتح المصدر؛ وبالكسر الاسم، مثل: الإمارة والنقابة؛ لأنه اسم لما تولّيته، وقمت به؛ فإذا أرادوا المصدر فتحوا.

وجاء في «أقرب الموارد»: ولأه، ووليّه، يليه، من باب ضَرَبَ يَضْرِبُ وَحَسِبَ يَحْسِبُ، والأوّل قليل الاستعمال؛ (والمصدر) وليّ، أي دنا منه، وقرب، يقال: جَلَسْتُ ممّا يليه؛ أي يقاربه؛ ويقال: الوليُّ حُصُولُ الثَّانِي بَعْدَ الأوّلِ مِنْ غَيْرِ فَضْلِ.

وَلِيَّ الشَّيْءِ وَعَلَيْهِ وِلَايَةٌ وَوَلَايَةٌ: ملك أمره، وقام به. أو الوِلَايَةُ بالفتح والكسر الخِطَّة والإمارة والسلطان؛ ووَلِيَّ فلاناً وعليه: نصره، ووَلِيَّ فلاناً وِلَايَةً: أحبه؛ ووَلِيَّ الْبَلَدِ: تسلَّط عليه.

فبحسب بيانات أهل اللغة نجد أن لكلمة (ولي) معاني متعددة، منها: الناصر، وابن العم، والجار، والمحِب، والمعتق، وولي الأمر.. وغيرها.

فأي من المعاني المتقدمة لكلمة (ولي) هو المعنى المناسب لوضعه محلَّ كلمة وليٍّ في حديث النبي ﷺ: «... وهو ولي كل مؤمن بعدي»، حتى يتم الكلام، ويستقيم بنحو صحيح سليم؟

إن قلت: نضع بدلها (ابن العم)!

قلنا: هذا واضح البطلان، لأنه لا معنى لأن يقول النبي ﷺ في حق عليٍّ عليه السلام: «وهو ابن عم كل مؤمن بعدي»!!.

وإن قلت: نضع محلها (الجار)!

قلنا: وهذا واضح البطلان أيضاً، لأنه أي معنى لأن يكون مراد النبي ﷺ: «وهو جار كل مؤمن بعدي»!!

فإن قلت: نضع محلها كلمة (الناصر أو المحب)!

قلنا: هذا باطل أيضاً، ولا يصح بحال؛ لأنه أي معنى لكلام النبي ﷺ: «وهو ناصر ومحب كل مؤمن بعدي» الذي يعني أنه

ليس بناصر ولا محب للمؤمنين الآن!!

فهذا الكلام لا يمكن قبوله جزمًا؛ لأن عليًا عليه السلام هو ناصر المؤمنين ومحبههم في حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، فما الوجه من تقييد المحبة والنصرة للمؤمنين بعد النبي صلّى الله عليه وآله وسلم فقط؟!

بقي عندنا معنى واحد من معاني (الولي) المتقدمة، يناسب المقام، ولا يردُّ عليه أي إشكال، وهو (ولي الأمر)، أي يكون معنى كلام النبي صلّى الله عليه وآله وسلم: «وهو وليُّ أمر كل مؤمن بعدي»، فهذا المعنى لا يرد عليه أي إشكال مطلقًا.

وقد جاء في صحيح مسلم ما يدل على استفادة الإمرة من كلمة (ولي) من دون إضافة كلمة أمر إليها، والقرينة هو السياق، فانظر إلى ما أفاده عمر بن الخطاب في خطابه للعباس عم النبي صلّى الله عليه وآله وسلم وعليّ عليه السلام في منعه إرث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم عن أهل بيته، حيث قال: «توفي أبو بكر وأنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وولي أبي بكر»^(١).

وواضح أن المقصود من كلام عمر (وأنا ولي) هو ولاية الأمر، ولم نجد من علماء أهل السنة من يقول: إن المراد من كلمة ولي هنا (النصرة والمحبة)!

وعليه، فالولاية عرفًا تعني الحاكمية بلا نزاع ولا جدال، فالناس تسمّي الحاكم والخليفة والملك والأمير ولي الأمر.

(١) صحيح مسلم، ج ٥، ص ١٥٢، باب حكم الفيء.

وبهذا يثبت أن مراد النبي ﷺ في حديثه المتقدم هو: أن علياً عليه السلام هو الحاكم والخليفة وولي الأمر من بعده. ومن جميع ذلك يثبت أيضاً أن الولاية هي امتداد للرسالة.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



قدرة الله المطلقة والتناقض المنطقي

المستشكل: مجهول

الاستشكال: السلام عليكم.. هل الله قادر على أن يخلق شيئاً مادياً يكون فيه مزايا خارج قدرته سبحانه.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

يتضمن هذا السؤال مغالطة كبيرة؛ إذ يسعى السائل لاستخدامها في حواراته مع المسلمين، بهدف تضيق دائرة الخيارات على المجيب، ففي حال أجاب المسلم بأنه لا يستطيع، سيتم مواجهته بسؤال: "كيف يُعدُّ إلهًا، وهو غير قادر على خلق ذلك الشيء؟". وإذا أجاب بأنه يستطيع خلق ذلك الشيء بمزايا خارجة عن قدرته سبحانه، سيواجه بسؤال: إذاً، كيف يكون إلهًا، وهو عاجز أمام ذلك الشيء الذي خلقه وغير قادر عليه؟

فكأنَّ السائل يقول: "هل يمكن أن يكون القادر غير قادر"،

وهذا كلام متناقض، لا معنى له.

يقدم السائل هذا الاستفهام باعتبار أن المسلم يعتقد بأن الله هو القادر على كل شيء (بقدرته المطلقة)، ونتيجة لهذه القدرة المطلقة، يفترض أنه قادر على خلق شيء يتخطى قدرته سبحانه بمزايا خاصة.

يرتكز التناقض هنا على نقطة محددة، هي: أن السؤال نفسه يفترض وجود القدرة المطلقة وعكسها في الوقت نفسه، وهذا يمثل تناقضاً واضحاً، ومن لديه أبجديات المنطق سيدرك أن الصفتين المتناقضتين لا تجتمعان في ذات واحدة أبداً؛ فإنّ هذا أمرٌ مستحيل من الناحية المنطقية، فعلى سبيل المثال، لا يمكنني أن أصف شخصاً بأنه ذكي وغبي في الوقت نفسه، ولا يمكن أن تكون التفاحة موجودة فوق الطاولة وتحتها في اللحظة نفسها.

لذا فإن الإشكال ليس في قدرة الله سبحانه، وإنما في البنية المنطقية للسؤال الذي بني على جمع صفتين متناقضتين: القدرة وعدم القدرة.

وباختصار، إذا كان الله مطلق القدرة فإن أيّ فرضية تتعارض مع قدرته المطلقة تسقط، وتُعدُّ ممتنعة الحدوث، ويكون السؤال عنها مغالطة منطقية.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.

زيارة الله لقبر الحسين عليه السلام كناية عن إنزال رحماته الخاصة عليه وعلى زائريه

المستشكل: شاهين المطيري

الاستشكال: الروافض يفترون الكذب على الله، وإنما يفترى الكذب على الله الذين لا يؤمنون، فزعموا أن الله يزور الحسين رضي الله عنه، ويهبط إليه مع الملائكة، فإمامهم الصادق يقول: «كيف لا أزوره، والله يزوره في كل ليلة جمعة، يهبط مع الملائكة إليه والأنبياء والأوصياء ومحمد أفضل الأنبياء، ونحن أفضل الأوصياء. فقال صفوان: جعلت فداك، فنزوره في كل جمعة حتى ندرك زيارة الرب؟ قال: نعم يا صفوان: الزم، تُكتب لك زيارة قبر الحسين، وذلك تفضيل» كامل الزيارات.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

قبل الشروع في الرد على ما طرحه المستشكل، ننقل الرواية هنا بتمامها من كتاب كامل الزيارات، قال ابن قولويه: «حدثني

أبي وأخي وجماعة مشايخي، عن محمد بن يحيى وأحمد بن إدريس، عن حمدان بن سليمان النيسابوري، عن عبد الله بن محمد اليماني، عن منيع بن حجاج، عن يونس، عن صفوان الجمال، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام لما أتى الحيرة: هل لك في قبر الحسين عليه السلام، قلت: وتزوره جعلت فداك؟ قال: وكيف لا أزوره، والله يزوره في كل ليلة جمعة، يهبط مع الملائكة إليه والأنبياء والأوصياء، ومحمد أفضل الأنبياء، ونحن أفضل الأوصياء، فقال صفوان: جعلت فداك، فنزوره في كل جمعة حتى ندرك زيارة الرب، قال: نعم يا صفوان، ألزم ذلك، يكتب لك زيارة قبر الحسين عليه السلام، وذلك تفضيل، وذلك تفضيل»^(١).

أولاً: الرواية ضعيفةٌ لجهالة "عبد الله بن محمد اليماني"^(٢)، وجهالة "منيع بن الحجاج"^(٣).

ثانياً: بغضُ النظر عن ضعف سند هذه الرواية، فقد ركّز المستشكل على بعض الكلمات الواردة في الرواية، وهي: (يهبط مع الملائكة)، و(والله يزوره)، ففهم من الجملة الأولى أن الهبوط ذو طابع حقيقي، ومن الثانية أن الزيارة أيضاً ذات طابع حقيقي، وهذا من الجمود على ما يفهم من ظاهر اللفظ وعدم تجاوز حقيته، وهو نوعٌ من الانحراف، بل يُعدّ أكبر خطأ، وإذا ما أردنا تطبيق هذا

(١) كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، ص ٢٢٢.

(٢) ينظر: المفيد من معجم رجال الحديث، ص ٣٥٨.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص ٦٣٢.

الفهم الساذج والمغلوط على بعض آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن الله سبحانه وتعالى، وتصفه بالمجيء، كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾^(١)، سنخرج بنتيجة مفادها أن الله سبحانه وتعالى يجيء، ويذهب!!.. وقد فسر أئمتنا عليهم السلام هذه الآية، وبينوا المراد من مجيئه سبحانه، فقال الإمام الرضا عليه السلام: «إن الله عز وجل لا يوصف بالمجيء والذهاب، تعالى عن الانتقال، إنما يعني بذلك: وجاء أمر ربك، والملك صفًّا صفًّا»^(٢).

وهكذا معنى الهبوط مع الملائكة، فهو من هذا القبيل، فالمراد منه هبوط رحمة الله سبحانه مع الملائكة والأنبياء ليلة الجمعة في كربلاء لتعم زوار الإمام الحسين عليه السلام، وهكذا أيضًا معنى زيارة الله سبحانه للحسين عليه السلام فهي تعني شمول رحمته النازلة لزواره..، قال العلامة المجلسي: «زيارته تعالى كناية عن إنزال رحماته الخاصة عليه وعلى زائريه صلوات الله عليه»^(٣).

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



(١) الفجر: ٢٢.

(٢) يُنظر: معاني الأخبار، للصدوق، ص ١٣.

(٣) بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ٦٠.

ولاية عليٍّ عليه السلام ركيزة محورية في الإسلام

المستشكل: خالد عبد الوهاب
الاستشكال: اختزل الشيعة الدين في تولي عليٍّ الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وتركوا التوحيد والعقيدة والعبادة!!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

يسعى المستشكل إلى تشويه فهم القراء بتصوير الشيعة كأنهم أولوا قيمة مفرطة لمسألة خلافة عليٍّ عليه السلام وولايته، على حساب تجاهلهم لجوانب التوحيد والعقيدة والعبادة في الإسلام، حيث يُظهر المستشكل الشيعة وكأنهم يعطون عناية مفرطة للجانب السياسي (كما يعتقد هو)، مما يُسبب للقراء انطباعاً خاطئاً بأن الجوانب الدينية والعبادية ليست ذات قيمة بالنسبة للشيعة.

وإذا أردت الحقيقة، وكنت تسعى لاكتشافها، وترغب في التوصل إليها، فإن الذي اختزل الدين في التركيز على مسألة الخلافة، وقلل

من قيمة جوهره، وتجاوز جميع أسسه ومبادئه، هم بعض الصحابة الذين اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لمبايعة أبي بكر بالخلافة، في وقتٍ كان الواجب الشرعيُّ يحتمُّ عليهم حضور مراسم دفن رسول الله ﷺ، الأمر الذي أقرَّ به ابن حجر في كتابه «الصواعق المحرقة»، قائلاً: «اعلم أن الصحابة أجمعوا على أن نضب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجبٌ، بل جعلوه أهم الواجبات، حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم»^(١).

وقال محمد أبو زهرة في كتابه "خاتم النبيين": «اتجه المؤمنون إلى إقامة خليفة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل أن يُغسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ويوارى جثمانه الطاهر، فقد اجتمع الأنصار، وعلى رأسهم سعد بن عبادَةَ ليفكروا في هذا، فأسرع إليهم أبو بكر وعمر، في سقيفة بني ساعدة، وأنهوا أمر الخلافة باختيار أبي بكر خليفة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ولم يحضر الاجتماع أحدٌ من بنى هاشم أو أقرباء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والأدنون، العباس وعلي وغيرهما من بنى هاشم، ولعل ذلك كان لانشغالهم بأمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم»^(٢).

ويقول الزهراني في كتابه "الهادي والمهتدي" في سياق حديثه عن عليٍّ عليه السلام يوم تُوفي رسول الله ﷺ: «وكان أمر تجهيز النبي -صلى الله عليه وسلم- أهم من ذلك [أي من الخلافة] فبدأ به، ولم يحضر

(١) الصواعق المحرقة، ج ١، ص ٢٥.

(٢) خاتم النبيين ﷺ، لأبي زهرة، ج ٣، ص ١٠٩٣.

إلى سقيفة بني ساعدة، هذا كل ما عُرف من أمر عليٍّ - رضي الله عنه - في شأن الخلافة»^(١).

فاجتماع الصحابة واشتغالهم بالبيعة لأبي بكرٍ عن حضور مراسم دفن رسول الله ﷺ، هو في الواقع تقليلٌ من قيمة جوهر الدين ومقام النبوة، وبينما كان ذلك يجري، كان عليٌّ عليه السلام - وهو صاحب الولاية والأحقُّ بالخلافة - مشغولاً بتجهيز النبي ﷺ وغسله وكفنه لمواراته في ضريحه الأقدس.

وعليه، فالذي اختزل الدين في التركيز على مسألة الخلافة، وتجاهلَ قيمة التوحيد وجميع مظاهر العقيدة والعبادة، هم بعض الصحابة الذي اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة للتأسيس لتلك القاعدة التي أسهمت بنحوٍ مباشر في تمزيق وحدة المسلمين الفكرية والروحية والدينية، في وقتٍ كان الواجبُ الشرعيُّ يحتمُّ عليهم حضورَ مراسم دفن رسول الله ﷺ، وإشعار الأمة الإسلامية بقيمة وجلال المصاب الذي هو فقدانهم لنبیهم.

أما الشيعة الإمامية الاثنا عشرية فقد تعبّدوا بالنص الثابت كتاباً وسنةً، فقد أوجب الله تعالى على عباده المؤمنين طاعة رسوله ﷺ، وعدم مخالفة أمره، فقال في محكم آياته: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

(١) الهادي والمهتدي، للزهراني، ص ١٨٦.

العِقَابُ ^(١)، وقال الله سبحانه مُحَذَّرًا مَنْ يَخَالِفُ أَمْرَهُ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ^(٢)، وجعل الله تعالى من طاعته صلى الله عليه وآله وسلم طاعةً له جلّ وعلا، فقال سبحانه: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ ^(٣).

وانطلاقاً من هذه الآيات القاضية بوجوب إطاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعدم مخالفة أمره، امثل الشيعة هذه الأوامر الإلهية، وعملوا بمقتضاها، فتمسكوا بما أمر به النبي الأكرم، ومن ذلك ما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم متواتراً، كما شهد به ابن حجر الهيتمي في "الصواعق المحرقة" وغيره، بأن طريق النجاة يمر عبر الإيمان والتمسك بالعترة الطاهرة، حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً» ^(٤).

فالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أمر باتباع أهل البيت عليهم السلام، وقرنهم بالكتاب، وأمر باتباعهما معاً، فكما أن الكتاب منزلة من كل باطل، فأهل البيت عليهم السلام كذلك، وجعل التمسك بهم مانعاً من الضلال كالكتاب، وصرّح بعدم الافتراق بين الكتاب والعترة، أي أنهم لا يخالفونه في وقتٍ من الأوقات.

وجاء عن الفخر الرازي في تفسيره قوله: «فقد ثبت بالتواتر:

(١) الحشر: ٧.

(٢) النور: ٦٣.

(٣) النساء: ٨٠.

(٤) انظر: الصواعق، ص ١٣٦.

ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله عليه السلام: اللهم أدِرِ الحَقَّ مع عليٍّ حيث دار»^(١)، إلى غير ذلك عشرات الأحاديث التي تُثبت وتؤكد على اتباع علي عليه السلام وموالاته.

ولم يترك النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أي مناسبة إلا وأشار فيها إلى القيمة البالغة للإمامة، مُبيناً أنها -كالنبوة- عهدٌ إلهيٌّ. وتجلي هذا التأكيد القوي في مناسبة غدير خم، عندما أمره الله تعالى أن يوقف المسلمين في ذلك المكان، قبل أن تتشعب بهم الطرق، ويبلغهم ولاية علي عليه السلام من بعده، فأوقفهم، وخطب فيهم، وبلغهم ما أمره به ربه، فقال صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه»، قال ابن حجر العسقلاني في الفتح: «وأما حديث "من كنت مولاه فعليٌّ مولاه"، فقد أخرجه الترمذي والنسائي، وهو كثير الطرق جداً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدھا صحاح وحسان»^(٢).

وعليه، فالنبي صلى الله عليه وآله هو من أولى عنايةً بالغّة في تولّي عليٍّ عليه السلام للإمامة والخلافة، والشيعية الإمامية الاثنا عشرية أنها أطاعوا الله ورسوله في ذلك.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.

(١) التفسير الكبير، ج ١، ص ١٨٠.

(٢) فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ج ٧، ص ٧٤.

مكر الله مجازاة ومكر الخلق خبث وخداع

السائل: قاسم الملا

السؤال: قال الله في كتابه الكريم في سورة آل عمران، آية ٥٤: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ الآية تتحدث عن مكر الكافرين، ومصطلح "المكر" يرتبط بالسلبية والغدر، وهو صفة مذمومة، فكيف تصف الآية أن الله ماهر، بل وإنه خير الماكرين، أرجو البيان مع التقدير.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

كانت العرب تسمي الجزاء على الفعل باسم الفعل، فسمي جزاء المكر مكرًا، كما سمي جزاء السيئة سيئةً، وجزاء الاعتداء اعتداءً، وإن لم يكن الثاني اعتداءً، ولا سيئةً، فعلى ذلك تسمية جزاء المكر مكرًا، وإن لم يكن الثاني مكرًا.

والمكر في اللغة يعني كلَّ حيلة ووسيلة لصرف الشخص عن الهدف الذي يمضي إليه، سواء كان حقاً أو باطلاً، وقد أخذ في مفهوم هذه اللغة نوعٌ من التدرج والنفوذ التدريجي.

وعن مجمع البحرين: «قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾، المكر من الخلق خبثٌ وخداع، ومن الله مجازاةٌ، ويجوز أن يكون استدراجه العبد من حيث لا يعلم... قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾، أي أقدر على مكركم وعقوبتكم قوله: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾، أي عذاب الله. قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يريد الخدع والحيلة. قوله: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾، أي باغتيابهن، وإنما سمي مكرًا لأنهن أخفينه كما يُخفي الماكر مكره. والمكر الخديعة، يُقال: مكر يمكر مكرًا، من باب قتل: خدع، فهو ماكر. وفي الدعاء: اللهم امكّر لي، ولا تمكّر بي، أراد بمكر الله إيقاع بلاءه بأعدائه دون أوليائه»^(١).

وعلى هذا فالمراد من المكر الإلهي هو أن الله تعالى يصرفهم بخططه القوية التي لا تُقهر عن حياة الرفاه واللذة دون اختيارهم، ويقطعها عليهم. وهذه إشارةٌ إلى العقوبات الإلهية الفجائية والمهلكة^(٢).

قال العلامة المجلسي في البحار: «﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾، أي عقوبته وعذابه، وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾، أي أقدر على

(١) مجمع البحرين، للطريحي، ج ٣، ص ٤٨٤.

(٢) ينظر: الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٥، ص ١٣١.

مكركم وعقوبتكم إن شاء»^(١).

وفيه عن الإمام الرضا عليه السلام في حديثٍ طويل، جاء فيه: «قال، وسألته عن قول الله عز وجل: ﴿سَخَّرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾، وعن قوله: ﴿يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، وعن قوله تعالى: ﴿وَمَكَّرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾، وعن قوله عز وجل: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾، فقال عليه السلام: ان الله عز وجل لا يسخر، ولا يستهزئ، ولا يمكر، ولا يخادع، ولكنه عز وجل يجازيهم جزاء السخرية، وجزاء استهزاء، وجزاء المكر والخديعة، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً»^(٢).

وقال الميرزا التبريزي في تعليقه على صراط النجاة للسيد الخوئي قدس سره: «معنى مكر الله سبحانه وخدعته هو جزاؤه الإنسان الماكر والخادع على مكره وخديعته، كما ورد في الخبر أن الله عز وجل لا يسخر، ولا يستهزئ، ولا يمكر، ولا يخادع، ولكنه عز وجل يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء وجزاء المكر والخديعة؛ فمعنى: لا تمكربي، ولا تخدعني هو: لا تجزني بمكري، ولا بخديعتي»^(٣).

وفي تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي: «قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾، مكر به مكرًا، أي مسّه بالضرر، أو بما ينتهي إلى الضرر، وهو لا يشعر، وهو إنما يصح منه تعالى، إذا كان على نحو المجازاة، كأن يأتي الإنسان بالمعصية،

(١) بحار الأنوار، ج ٨٧، ص ٢٣٧.

(٢) بحار الأنوار، ج ٣، ص ٣١٩.

(٣) صراط النجاة، للسيد الخوئي، ج ٩، ص ٧٠.

فيؤاخذ الله بالعذاب من حيث لا يشعر، أو يفعل به ما يسوقه إلى العذاب، وهو لا يشعر، وأما المكر الابتدائي من غير تحقق معصية سابقة، فمما يمتنع عليه تعالى»^(١).

وقال القرطبي، وهو من مفسري علماء أهل السنة: «قوله تعالى: (أفأمنوا مكر الله) أي عذابه وجزائه على مكرهم. وقيل: مكره استدراجه بالنعمة والصحة»^(٢).

وباختصار فإن مفهوم المكر في القرآن، فيما يتعلق بالخلق يعني الخبث والخداع، أما من الله فيكون مجازاة وعقوبة للماكر والخادع على مكره وخديعته.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



(١) تفسير الميزان، ج ٨، ص ٢٠٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ٢٥٤.

الإيمان بالله بنيانه العقل وقوامه الخوف

المستشكل: مجهول

الإشكال: إذا كان للإله وجودٌ حقيقيٌّ، فسيكون لديه احترامٌ أكبر من قِبَل الأفراد الذين يستخدمون عقولهم بدلاً من اتباع دينٍ نابع من الخوف وحده.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

هذا الملحد يقدم تناقضاً فريداً في محتواه، ويثير الضحك بمَرماه؛ ذلك لأنَّ أسَّ أساس الإلحاد قائمٌ على إنكار وجود الله. ومع ذلك، نجده قد استخدم وجود الله على أنه افتراضٌ في سياق كلامه، حيث يُشير إلى أنه إذا افترضنا وجود الله، فإنَّ الله سيحترم العاقل الذي لا يؤمن بوجوده أكثر من المؤمن به نتيجة للخوف من عقوبته. فهذا التناقض يجعل كلامه غير منطقيٍّ، فيمكن تصنيفه على أنه مغالطةٌ

في المنطق.

وعلى رغم ذلك، يمكن الرد عليه بالآتي:

إذا كنا نريد أن نقارن بين المؤمن والملحد من حيث العقل والتفكير المنطقي، فإننا بالضرورة نجد أن المؤمن يُظهر مزيداً من الالتزام بالمنهج العقلي مقارنةً بالملحد. لاعتقاد الملحد أن العالم نشأ من دون وجود خالق، وأن الحياة نشأت من اللا حياة، ويؤمن بمفاهيم أخرى تتعارض مع التفكير المنطقي. ولهذا السبب، يُعد الشخص العاقل هو من يُعبر عن قلقه إزاء مصيره القادم، ويسعى بجديّة للوصول إلى مأمّنٍ يضمنه. هذا من جانب.

ومن جانبٍ آخر، إذا كان الخوف هو العامل الأساس الذي أدى إلى نشوء الدين، فيلزم أن يكون الدين مرتبطاً بوجود الخوف، وعندما يتلاشى الخوف، فلا بد أن يتلاشى معه الدين أيضاً. وعلى هذا الاعتقاد، يلزم أيضاً أن نشهد زيادة في الإلحاد كلما تضاءل الخوف والقلق، وفي المقابل نشهد زيادةً في الإيمان كلما زاد الخوف والقلق. ولكن الواقع هو أننا نرى زيادةً في التدين بين الأشخاص الذين يشعرون بالأمان والطمأنينة، مثل الأنبياء والأولياء. بينما نجد الملحدين هم الذين يعانون من الخوف والقلق الوجودي.

يقول عالم النفس السويسري كارل يونج: «انعدام الشعور الديني يسبّب كثيراً من مشاعر القلق والخوف من المستقبل

والشعور بعدم الأمان والنزوع نحو النزعات المادية البحتة، كما يؤدي إلى فقدان الشعور بمعنى ومغزى هذه الحياة، ويؤدي ذلك إلى الشعور بالضيق»^(١).

هذا مضافاً إلى أن الخوف من النتائج السلبية أو العواقب يمكن أن يكون عاملاً تحفيزياً للأشخاص لاتخاذ إجراءات معقولة لحماية مصالحهم الشخصية والمنافع الخاصة بهم، ومن المؤكد أن الخوف يحفز على القيام بأفعالٍ تُعدُّ منطقيةً ومستنيرة لتجنب المشاكل والمخاطر المحتملة، مما يجعله علامة على رزانة عقل الفرد في أغلب الحالات. الأمر الذي يتعلق بالقدرة على تقدير المخاطر واتخاذ الإجراءات الملائمة استناداً إلى الوعي والتفكير السليم.

وفي الواقع الاجتماعي، يمكن تمثيل الخوف على أنه مؤشرٌ على وجود العقل والتعقل في كثيرٍ من الحالات. فعلى سبيل المثال، الشخص الذي يخشى من التصادم المروري يقدر مخاطر القيادة بحذرٍ، ويتخذ إجراءاتٍ احترازيةً، مما يعكس تفكيراً عقلانياً. ومثل ذلك، عندما يكون هناك خوفٌ من الإصابة بالأمراض، فيمكن أن يحفز هذا الخوفُ الأشخاصَ على اتخاذ إجراءاتٍ وقائية مثل الحفاظ على نمط حياةٍ صحيٍّ وزيارة الأطباء بانتظام، وهذا يعكس أيضاً تفكيراً عقلانياً. وفي حالة الخوف من العواقب القانونية أو الخلقية لأفعال غير ملائمة، فإنه يُجتم على الفرد والمجتمع اتخاذ قراراتٍ

(١) دراسات في تفسير السلوك الإنساني، للدكتور عبد الرحمن العيسوي، ص ١٩٣، دار الراتب الجامعية، بيروت، ١٤١٩ هـ.

تفكيرٍ أكثر عقلانية، ويسهم في الامتناع عن السلوكيات غير الملائمة.

وعليه، فلا يتعارض الإيمان بالله مع الخوف، بل يمكن للإنسان أن يؤمن بالله بوساطة المنهج العقلي، وفي الوقت نفسه يخاف من عقوبته. بل على العكس، يمكن أن يكون الخوف هو الحافز الذي يحفز الإنسان على التفكير والبحث عن الحقيقة، وذلك بهدف النجاة من العقاب المحتمل، وهذا المفهوم يُعرف في علم الكلام بـ "قاعدة دفع الضرر المحتمل"، بمعنى أنه إذا كنّا نتوقّع وجود أذى محتمل، فإن هذا بلا شكّ يحفّزنا على البحث والتحقيق للتصرف بحيث نتجنّب هذا الأذى المحتمل.

وفي حياتنا اليومية، يُظهر الخوف من احتمال وقوع الضرر قيمةً كبيرة في توجيه سلوكنا واتخاذ إجراءات وقائية بإزاءه. فإذا كان الشخص يَحتمل وقوع ضررٍ ما عليه، فإن هذا الاحتمال يحفّزه على اتخاذ إجراءات للحماية والوقاية.

فمثلاً: في مجال التأمين، نجد أنّ أغلب الأفراد يشترّون وثائق تأمينٍ لحماية أنفسهم وممتلكاتهم من الأحداث المحتملة مثل الحوادث المرورية أو الأمراض. ونجدهم عند ممارسة أنشطة خطيرة مثل رياضة التسلُّق أو الغوص، يتخذون إجراءات أمانٍ إضافية، ويحملون معهم معدات واقية احتياطية تحسُّباً لوقوع حوادث. وفي مجال التخطيط المالي، نجد المختصين يقومون بإعداد خططٍ مالية لتوفير واستثمار الأموال بحيث يمكنهم التعامل مع أي ضررٍ ماليٍّ

محتمل في المستقبل.. إلى غير ذلك من العشرات من الأمثلة التي تُظهر كيف يمكن للاحتمال بوقوع ضرر أن يؤدي إلى اتخاذ إجراءات وتدابير للوقاية والحماية في مختلف جوانب الحياة.

والنتيجة أنّ الإيمان بالله سبحانه بُنيانُه العقلُ وقوامُه الخوف، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١).

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



حقيقة الكتاب ومن عنده علم الكتاب

السائل: جعفر الصادق

السؤال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. هناك إشكالٌ يورده بعض الناس، حاصله أنه لا يصح أن يكون المراد بمن عنده علم الكتاب في الآية الواردة في القرآن الكريم ﴿... قُلْ كَفَىٰ بِاللّٰهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ هو علياً عليه السلام باعتبار إن علياً عليه السلام ممن آمن بالنبي ﷺ فهو طرفٌ في النزاع بين النبي ﷺ والمشرّكين. وحينئذٍ فإنه لا يُعقل أن يُحيل النبي ﷺ المشرّكين إلى عليٍّ عليه السلام وأن يستشهد به على صدق نبوته ﷺ لأنهم لن يقبلوا شهادته، فكيف يجعله ﷺ شهيداً حينئذٍ، والحال أنهم لن يقبلوا شهادته، والنبي ﷺ يعلم ذلك أيضاً؟ أليس ذلك من قبيل الإحالة إلى محال؟ ومع صحة هذا الإشكال العقلي تسقط كل الروايات التي تفسر مَنْ عنده علم الكتاب بعليٍّ عليه السلام.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

هذا الإشكال من إثارات ابن تيمية الحرّاني، ذكره في كتابه

منهاج السُّنة، ورجَّح أنَّ المراد بمنَّ عنده علم الكتاب: أهل الكتاب لا علي بن أبي طالب، فقال: «وأما أهل الكتاب فإذا شهدوا بما تواتر عندهم عن الأنبياء وبما علَّم صدقُه كانت تلك شهادةً نافعة، كما لو كان الأنبياء موجودين، وشهدوا له؛ لأن ما ثبت نقلُه عنهم بالتواتر وغيره كان بمنزلة شهادتهم أنفسهم»^(١).

قبل البدء في الردِّ على الإشكال، ينبغي أن نبيِّن عدة نقاط ذات قيمةٍ عالية لضمان الفهم الصحيح للآية الكريمة المعنية التي تُعد محورًا للنقاش. هذه النقاط هي كالاتي:

١- عن أيِّ كتابٍ نتحدث الآية؟

٢- ما حقيقة علم الكتاب؟

٣- عن أي شهادة نتحدث الآية؟

لذلك، سيكون من الضروري توضيح الأمور الثلاثة المذكورة في أعلاه قبل الشروع في الإجابة عن الإشكال.

الأمر الأول: عن أيِّ كتابٍ نتحدث الآية؟

لا شك، ولا ريب أن المقصود بالكتاب في الآية هو القرآن الكريم، بيان ذلك:

أن الآية الكريمة قد ذكرت (الكتاب) معرِّفًا بألفٍ ولام

(١) منهاج السُّنة النبوية، ج٧، ص ٢٥١.

التعريف، للدلالة على أنه الكتاب الغنيُّ عن التعريف؛ لأنه إذا ذُكر لم يُذكر معه سواه، ولم يتبادر إلى الذهن غيره، فلو كان لدينا كتب عديدة، وأردنا أن نخبر أحداً أن يقرأ أحدها دون تعيينٍ صحَّ أن نقول: "اقرأ كتاباً" فيعني أحدها دون تعيين، وإن شئنا أن يقرأ واحداً منها دون سواه وجب تعيين صفته المميّزة له، كأن نقول: "اقرأ الكتاب الأخضر"، أو "اقرأ كتاب التوراة"، أما لو كان أحد الكتب متميّزاً على كل ما عداه، بحيث لو ذكر دون صفة عرفه الناس، لجاز لنا أن نقول: "اقرأ الكتاب" معرّفاً بألفٍ ولامٍ التعريف، للدلالة على أنه الكتاب المعروف؛ لأنه غنيٌّ عن التوصيف. لذلك قال تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، فلو كان المقصود بالكتاب هو التوراة أو الإنجيل - مما عُرف قبلاً - لاقتضى ذكره بصفته التي عُرف بها، أما وقد ذكر على هذا النحو المشار إليه، فدلّ على أنه ليس أيّاً منها، بل المقصود به الكتاب الغني عن التعريف، والذي إذا ذُكر لم يُذكر معه غيره، وإذا حضر ارتفعت الحاجة لسواه. فماذا عساه أن يكون من الكتب إلا القرآن الكريم، فهو المعتبر بـ (الكتاب) عند خالقه تعالى، دون ما عداه من الكتب التي أصابتها الشوائب التي من صنع الإنسان وأهوائه، فخرجت بذلك عن الحقائق الربانية وعن مصداقية (الكتاب) الإلهي في عين الحقيقة. فهذا الكتاب إذا ذُكره فلا ذُكرَ لغيره معه؛ لذا جاء معرّفاً بألفٍ ولامٍ التعريف، ليعلم أنه مصداق الكتاب عند الله.

الأمر الثاني: ما حقيقة علم الكتاب؟

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، يعني كامل العلم لا بعضه، فلو كان هذا العلم مجتزأً، لوجب القول "مَنْ عِنْدَهُ بعض علم الكتاب"، أو كما قال تعالى ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾^(١)، إشارةً إلى آصف بن برخيا، وهو يعني أن عنده بعض علم الكتاب؛ لأن (مِنْ) تفيد التبعض.

إذن، وبحكم قواعد اللغة العربية، وأساليب البيان، نعلم من النص ذاته دون اللجوء إلى دلالات خارجية، أن الجهة المعنيّة بالنص الإلهي لديها كامل علم الكتاب. وهذا يخرج من دائرة الاحتمالات -بغض النظر عن الكتاب المعني- في أن المراد عبد الله بن سلام الذي ادّعى له هذا الأمر، فلو فرضاً جدلاً أن الكتاب هو التوراة فهل كان لدى "عبد الله بن سلام" كامل العلم بها؟!!

فلو كان لدى "عبد الله بن سلام" كامل العلم بالتوراة، فلم لم يؤمن بـعيسى عليه السلام إلى أن جاء نبي الإسلام محمد ﷺ؟!.. هل جهلاً بمضمون الكتاب أم جحوداً للحق؟!!

فإن كان الأول، فقد نُقض قولهم. وإن كان الثاني، فلا يصلح معه للشهادة على هذا الأمر الذي فيه مصداقية الرسالة.

ومما يدل دلالة قاطعة على أن ما عند علماء التوراة أو الإنجيل،

هو علمٌ ببعض الكتاب قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾^(١)، فتدل الآية على أن ما لدى أهل الكتاب ما هو إلا بعض الكتاب، وليس كله، وأنَّ علم علمائهم هو علمٌ ببعض الكتاب لا كله، لأنه حتى لو استوفى كل ما أوتوه ولو لم يكن مشوبًا بالتحريف، فإنه يبقى علمًا بنصيبٍ من الكتاب.

فالعلم المعنيُّ هو العلم الكامل بهذا الكتاب (القرآن الكريم)، أي بالرسالات الإلهية، فلا مفرَّ أمام أيِّ مكابر من الاعتراف بأن مثل هذا العلم لا يكون علمًا كسبيًّا عن روايةٍ وسماعٍ واستقراء، مما هو متاحٌ لعموم الناس، فهو علمٌ ربانيٌّ، جعله تعالى عند رسله الذين أنزله عليهم، كما ينصّ القرآن الكريم، ومن وظيفتهم في أنهم رسل لرب العالمين. فلو وجد هذا العلم عند أحدٍ غيرهم من العباد لاقتضى بالمثل أن يكون عن عطاء إلهي من وظيفة مقررة إلهيًّا.

ولقد جاء هذا النص العظيم: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللّٰهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، ليخبرنا أنه إلى جانب النبي ﷺ الذي مُنح علم الكتاب بوصفه رسول الله، وقد مُنح هذا العلم أيضًا إلى جهة أخرى، وقد كلفها بالشهادة للنبي ﷺ، فكان هذا الجعل بسبب ذلك التكليف، وكان العلم جعلًا ربانيًّا، لا علمًا كسبيًّا، وكانت الشهادة تكليفًا إلهيًّا لا خيارًا أو تطوعًا بشريًّا.

الأمر الثالث: عن أي شهادة تتحدث الآية؟

دعوى "أن مَنْ عنده علم الكتاب لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأن الخصم لا يُقرّون به، كونه من صفّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم" تنطلق من اعتبارهم أن الشهادة تهدف إلى إقناع المشركين بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بالتبشير بها في الكتب السابقة، فهذه دعوى تنطوي على مغالطة وسطحية عجيبة، بيان ذلك:

١ - ادعائهم أن "عبد الله بن سلام" أو غيره، ممن سمّوهم علماء أهل الكتاب هم المعنيون بالآية، يوقعهم في المحذور نفسه الذي على أساسه أزاحوها عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ ذلك لأن هؤلاء بعد إسلامهم قد أصبحوا لدى المشركين بذات المستوى، وفي صفّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كعلي عليه السلام، وهذا يجري أيضًا فيما لو شمل النص - إلى جانب المشركين - أهل الكتاب، فضلًا عن أن المشركين لا يعترفون بهم ولا بأنبيائهم ولا كتبهم، لا قبل الإسلام ولا بعده، فلا معنى لطلب شهادتهم بتلك الكتب إن كانت الشهادة للإقناع.

٢ - لو كان هذا النوع من الاحتجاج سليماً، لجرى مثله أيضًا على شهادة الله تعالى. ألم يقل تعالى: ﴿كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا...﴾؟ فهل المشركون يرون الله أو يكلمونه حتى تنفع شهادته تعالى بإقناعهم؟!!

فمثل هذه الشهادة لا تضيف على قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنه مرسل من الله، إذ ما زالت بالنسبة للخصم في موقع الدعوى، ولم

تتعدّه إلى الإقناع، مثلها في هذا مثل شهادة مَنْ عنده علم الكتاب الذي هو من صف النبي ﷺ، سواء كان أمير المؤمنين عليه السلام، أو مَنْ آمن من علماء أهل الكتاب، فكل هذه الشهادات لا تخدم في إقناع المشركين. أما لو كان المخاصمون هم أهل الكتاب، فلا فرق حينئذ في أن يخبرهم بالبشارة التي هي في كتبهم أيُّ خبرٍ عالمٍ بها، يذكرهم، ويدلهم عليها، فالعبرة حينئذ هي في وجود البشارة، لا في شخص المخبر.

هذا يظهر طبيعة الشهادة المطلوب الادعاء بها، فهي ليست شهادة الإقحام والإقناع من قبيل الفضّ بين مدّع ومدّعى عليه أمام القضاء، بل هي شهادة أسمى موقعًا، لا تحصل القناعة بموضوعها الذي هو حقانية الرسول ودعوته، بواسطة شهود مهما عظموا، بل ما يمنح القناعة بموضوعها صوابية محتواها، ومطابقتها للعقل وموافقتها للوجدان، فلم يكن الهدف منها الاحتجاج عليهم لإقناعهم، ولو كان ذلك فلا معنى لشهادة الله فيه كما تقدم القول، بل قوله تعالى لنبينه ﷺ في هذا الحال: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللّٰهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، يعني: لا تهتم لا فتراءاتهم وأقوالهم، فهم معاندون، والحق واضح لمن أراده، ولا يضرّك شيءٌ إن لم يعترفوا لك بالنبوة، وإنكارهم لن يغير حقيقة أنك نبيٌّ مرسل؛ لذا قل لهم: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللّٰهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، فالله يشهد ومَنْ عنده علم الكتاب لك عليهم، بأنك بلّغتهم، وأقمت الحجة، وأنت نبيُّ الله حقًّا، فهي الشهادة للرسول

بقيام الحجة على المنكرين، وكذلك هي الشهادة بالحقيقة الأزلية الأبدية، التي لا يضرّها المشككون والمعاندون، والتي سيعلمها الناس مهما طال الزمن، ومهما طال صدور هؤلاء، وعبر مطلق الزمان ما دام في الناس جاهلون ومشككون، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾^(١)، ذلك لأن شهادة الله هي الحق المطلق، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾^(٢)، فإضافة شهادة الملائكة لها ذات الدلالة، فهؤلاء لا يرونهم، ولا يكلمونهم، فهي الشهادة للرسول ﷺ بقيام الحجة على المشركين، والشهادة للحقيقة المطلقة بأنه نبي الله حقاً، ومثله كانت شهادة من عنده علم الكتاب.

وهكذا تتضح السطحية والمغالطة في دعواهم التي على أساسها أنكروا أن يكون أخو رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام هو من عنده علم الكتاب.

ولما كانت الشهادة المطلوبة هي للحقيقة المطلقة كانت تستدعي من علمه أن يكون مطابقاً للحقيقة التي هي في علم الله؛ لذلك جاءت الشهادة منه تعالى، وأضيف إليها تارة شهادة الملائكة، وأخرى شهادة من عنده علم الكتاب، فعلم الله هو الحق المطلق، وأما علم الملائكة فهو كذلك في الموضوع الذي يشاء الله لهم العلم فيه، وعلم

(١) الأنعام: ١٩.

(٢) النساء: ١٦٦.

من عنده علم الكتاب هو كذلك في موضوع علم الكتاب الذي سبقت الإشارة إلى أنه مجمل حقائق الأديان والوحي المنزل على الأنبياء، فهو يعكس الحقيقة المطلقة؛ لأنه علمٌ من الله، خلافاً لعلم الآخرين - من علماء التفسير وسواهم - الكسبي القائم على السماع والرواية والاستقراء، ومثل هذه الشهادة يكون فيها الكفاية ﴿قُلْ كَفَى﴾، إذ لا يضيرها أ طابقت ما عند أولئك أم خالفت، أ كان لها مصداقٌ في كتبهم أم لا، أ أقرّوا بذلك المصداق أم أنكروه، أ ظهره أو أخفوه، أثبتوه أم حرفوه زمنًا بعد زمن، فالحقيقة التي عند الله هي هذه، ولا تتغير، وهذا يجري على كل الكافرين، أ كانوا مشركين أم كتابيين.

إذًا، من هنا نعلم صدق قول الشيعة وكثيرين من السُّنة أن ﴿مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ونعلم - أيضًا - تفاهة الادّعاء بأن هذا يخص عبد الله بن سلام أو ربما سواه ممن أسموهم علماء التوراة أو الإنجيل ^(١).

والحمد لله أوّلاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



(١) للاستزادة راجع: الإمامة حقيقة قرآنية، لزهير بيطار، ص ٢٢٠-٢٣٢.

الصادق جعفر بن محمد والصدّيق علي بن أبي طالب

السائل: مؤيد كريم

السؤال: هناك من يقول: إن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام سُمّي بالصادق نسبةً إلى جده أبي بكر الصديق، فكيف نردُّ على دعوى القائل؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

هذه النسبة باطلةٌ مكذوبة، فالإمام الصادق عليه السلام لقّبه بذلك جدُّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باعتباره أصدق إنسانٍ في حديثه وكلامه، وهو ثابتٌ في مروياتنا، وبذلك شهد أعلامُ أهل السُّنة، قال الرازي في كتابه "حداائق الحقائق": «جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم، سادس الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية. كان من سادات أهل البيت، ومن أجلاء التابعين، لقّب بالصادق لصدقه»^(١).

(١) حداائق الحقائق، محمد بن أبي بكر الرازي، ص ١٤٧.

وقال السَّمْعَانِي فِي أَنْسَابِهِ: «الْصَادِقُ لَقَبٌ لِجَعْفَرِ الْصَادِقِ لَصَدَقَهُ فِي مَقَالِهِ»^(١).

وقال أَبُو الْمُظْفَرِ الْإِسْفَرَايْنِي فِي كِتَابِهِ التَّبَصُّرَةُ: «هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرُ بْنُ زَيْنِ الْعَابِدِينَ بْنِ الْحُسَيْنِ السَّبِطِ الْهَاشِمِيِّ الْقُرَشِيِّ سَادِسُ الْأَئِمَّةِ الْإِثْنِي عَشَرَ عِنْدَ الْإِمَامِيَّةِ، لَقِبَ بِالْصَادِقِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُعْرِفْ عَنْهُ الْكَذِبَ قَطُّ»^(٢).

وقال أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُضْرَمِيُّ الشَّافِعِيُّ (٨٧٠ - ٩٤٧ هـ) فِي كِتَابِهِ "قِلَادَةُ النُّحُرِ": «جَعْفَرُ الْصَادِقُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْهَاشِمِيِّ الْعُلَوِيِّ. لَقِبَ بِالْصَادِقِ لَصَدَقَهُ فِي قِيلِهِ»^(٣).

وَجَاءَ فِي هَامِشِ كِتَابِ "خَرِيدَةُ الْقَصْرِ وَجَرِيدَةُ الْعَصْرِ": «جَعْفَرُ الْصَادِقُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، سَادِسُ الْأَئِمَّةِ الْإِثْنِي عَشَرَ عِنْدَ الْإِمَامِيَّةِ. كَانَ مِنْ أَجْلَاءِ التَّابِعِينَ، وَمِنْ سَادَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ، لَقِبَ بِالْصَادِقِ لَصَدَقَهُ فِي مَقَالَتِهِ»^(٤).

وَأَمَّا لَقَبُ الصَّدِيقِ، فَالثَّابِتُ هُوَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، سَمَّاهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ الْمُحِبُّ الطَّبْرِيُّ فِي "الرِّيَاضِ النَّضْرَةِ": «وَلَمْ

(١) الْأَنْسَابُ، لِلْسَّمْعَانِيِّ، ج ٨، ص ٢٥٠.

(٢) التَّبَصُّرُ فِي الدِّينِ وَتَمْيِيزُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ عَنِ الْفِرْقِ الْهَالِكِينَ، أَبُو الْمُظْفَرِ الْإِسْفَرَايْنِيُّ، ص ٣٢.

(٣) قِلَادَةُ النُّحُرِ فِي وَفَيَاتِ أَعْيَانِ الدَّهْرِ، لِابْنِ أَبِي مَخْرَمَةَ، ج ٢، ص ١٦٥.

(٤) خَرِيدَةُ الْقَصْرِ وَجَرِيدَةُ الْعَصْرِ، عِمَادُ الدِّينِ الْكَاتِبُ الْأَصْبَهَانِيُّ، ج ٣، هَامِشُ ص ٢٧٨.

يزل اسمه في الجاهلية عليًا، وكان يُكنى أبا الحسن، وسماه رسول الله ﷺ صديقاً. عن أبي ليلى عن النبي ﷺ أنه قال: "الصديقون ثلاثة، حبيب بن مري النجار ومؤمن آل ياسين... وحزقيل مؤمن آل فرعون وعلي بن أبي طالب الثالث، وهو أفضلهم". خرّجه أحمد في المناقب، وكنّاه رسول الله ﷺ بأبي الريحانتين^(١).

وروى المناوي في "فيض القدير"، عن أبي ذر، وسلمان، أنها قالوا: «أخذ النبي ﷺ بيد عليٍّ، فقال: إن هذا أول من آمن بي، وهذا أول من يصافحني يوم القيامة، وهذا «الصديق الأكبر»، وهذا فاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظالمين. وقال: رواه الطبراني والبزار، عن أبي ذر، وسلمان، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٢، وقال: رواه الطبراني، والبزار، عن أبي ذر وحده، والمتقي الهندي في كنز العمال ج ٦ ص ١٥٦، وقال: رواه الطبراني، عن سلمان، وأبي ذر معاً، والبيهقي، وابن عدي، عن حذيفة^(٢).

فعليٌّ ﷺ هو الصديق الأكبر، والفاروق بين الحق والباطل، ويعسوب المؤمنين، بلسانٍ وحي رسول ربّ العالمين، وجاء عن رسول الله ﷺ قوله: «سيكون من بعدي فتنةٌ، فإذا كان ذلك، فالزموا عليَّ بن أبي طالب، فإنه أول من آمن بي، وأول من يصافحني، وهو «الصديق الأكبر»، وهو فاروق هذه الأمة، وهو يعسوب المؤمنين،

(١) الرياض النضرة، ج ٣، ص ١٠٤، الجامع الصغير للسيوطي، ج ٢، ص ١١٥، فيض القدير للمناوي، ج ٤، ص ٣١٣.

(٢) فيض القدير، ج ٤، ص ٣٥٨.

والمال يعسوب المنافقين»^(١).

وجاء عن الإمام علي عليه السلام في بيان واضح وصريح بأن كل من يدعي "الصدّيقية" بعده فهو كذابٌ مفترٌ، فقد روى علماء أهل السنة عن عبّاد بن عبد الله، أنه قال سمعت عليّاً يقول: «أنا عبدُ الله وأخو رسوله، وأنا الصّدّيق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كذابٌ مفترٌ، لقد صليتُ قبل الناس بسبع سنين»^(٢).

ولو كانت تسمية أبي بكر بـ (الصّدّيق) قد حصلت في زمن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لاحتج بها أبو بكر أو عمر، أو غيرهما في السقيفة على الأنصار، كما احتجوا بسنّه، وبكونه صاحب النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في الغار. والصدّيقية أدلّ على ما يريدون، وأشدّ إلزاماً بالحجة لخصومهم، وأقرب إلى الإقناع^(٣).

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ج ٧، ص ٢٩٤؛ الجامع الكبير، للسيوطي، ج ٥، ص ٣٥٨؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، ج ٤، ص ١٧٤٤.

(٢) كتاب السنة، لابن أبي عاصم، ج ٢، ص ٥٩٨؛ المستدرک على الصحيحين، للحاكم، ج ٣، ص ١١٢. وقال: صحيح على شرط الشيخين؛ جامع الأحاديث، للسيوطي، ج ٣٠، ص ٤٦٣؛ المصنف، لابن أبي شيبة، ج ٦، ص ٣٦٨؛ سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٤٤، قال محققه محمد فؤاد عبد الباقي: «في الزوائد: هذا الإسناد صحيح. رجاله ثقات. رواه الحاكم في المستدرک عن المنهال، وقال: صحيح على شرط الشيخين»؛ السنن الكبرى، للنسائي، ج ٧، ص ٤٠٩؛ معرفة الصحابة، لأبي نعيم، ج ١، ص ٨٦.

(٣) يُنظر: مختصر مفيد، ج ١، ص ٢٤٦.

«سلمانٌ منا أهل البيت» ليس حقيقةً ونسباً

السائل: أبو محمد الكرعاوي

السؤال: كيف استطاع سلمان المحمدي الوصول إلى مقام (سلمان منا أهل البيت) أي ما العمل الذي مكنه من الوصول إلى تلك المرتبة؟ وهل هي مرتبة حقيقية بحيث صار من أرحامهم أو هي مرتبة اعتبارية تشريفية؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

سلمان الفارسيّ، هو: أبو عبد الله، مولى رسول الله ﷺ، ويُعرف بسلمان الخير. وكان أصله من فارس من "رام هرمز" من قرية يقال لها (جي)، وكان أوّل الأركان الأربعة، وهو المُفتخر بقول رسول الله ﷺ: «سلمانٌ منا أهل البيت». وهو من الذين قال النبي ﷺ، في حقّهم: «إنّ الله أمرني بحبّ أربعةٍ...»، منهم سلمان، وهو في الدرجة العاشرة من الإيمان.

عده الشيخ في رجاله من أصحاب رسول الله ﷺ، وعليّ ﷺ^(١).

أسلم سلمان في السنة الأولى، وبالتحديد في شهر جمادى الأولى. عُدَّ في بعض الروايات هو وعليّ ﷺ من السابقين الأولين، كما قال ابن مردويه. وكان سلمان قد عرف أنَّ نبيًّا سيخرج، وأنَّه لا يأكل الصدقة، ويأكل الهدية، وبين كتفيه خاتم النبوة، فحينما التقى بالنبي ﷺ في قباء قدَّم إليه رطبًا على أنَّها صدقة، فرأى أنَّ النبي ﷺ قد أمر أصحابه بأن يأكلوا، ولم يأكل هو؛ لأنها صدقة. فعدها سلمان واحدة.

ثم التقى به ﷺ في المدينة، فقدم له رطبًا على أنَّها هدية، فرأى أنَّه ﷺ قد أكل منها هذه المرة... ثم التقى به ﷺ في بقيع الغرقد، وهو ﷺ في تشيع جنازة بعض أصحابه، فسلم عليه، ثم استدار خلفه؛ فكشف ﷺ له عن ظهره، فرأى خاتم النبوة، فانكب عليه يقبله، ويبكي، ثم أسلم، وأخبره بقصته^(٢).

روى الطبراني في المعجم الكبير، قال: «عن كثير بن عبد الله المزني، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق من أحمر السبختين طرف بني حارثة عام حزب الأحزاب، حتى بلغ المذابح، فقطع لكل عشرة أربعين ذراعًا، فاحتجَّ المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي رحمه الله، وكان رجلًا قويًّا، فقال المهاجرون: سلمان منا، وقالت الأنصار:

(١) يُنظر: رجال الطوسي، ص ٢٠، ٤٣؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، ج ٢، ص ٦٣٤.

(٢) يُنظر: سلمان الفارسي، للعاملي، ص ٣٥-٣٦.

سلمان منا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سلمان منا أهل البيت" ^(١).

وقوله ^{صلى الله عليه وآله}: «سلمان منا أهل البيت»، فليس معناه أنه من أهل البيت حقيقةً ونسباً؛ لأن الاتصال النسبي لا يكون إلا بأسبابه المعروفة، قال محيي الدين بن العربي الحنبلي في بيان معنى قول رسول الله ^{صلى الله عليه وآله}: "سلمان منا أهل البيت": «..أن قوله ^{صلى الله عليه وآله}: سلمان منا أهل البيت، لم يجعله من أهل البيت حقيقةً ونسباً؛ فإن الاتصال نسباً لا يكون إلا بأسبابه المقررة في محله، وإذن.. هو منهم تنزيلاً: لتشابه الصفات، بعضها أو كلها، تلك الصفات التي يمكن أن تجعله من الملهمين. فسلمان منهم بلا شك.. فكان من أعلم الناس بما لله على عباده من الحقوق، ولأنفسهم، والخلق عليهم من الحقوق، وأقواهم على أدائها، وفيه قال رسول الله ^{صلى الله عليه وآله}: لو كان الإيمان بالثريا لناله رجل من فارس، وأشار إلى سلمان..» ^(٢).

وجاء عن الشيخ الطوسي في التبيان: «قال النبي ^{صلى الله عليه وآله}: "سلمان منا أهل البيت" وإنما أراد على ديننا» ^(٣).

وقال المسعودي في "الأسرار الفاطمية": «أي من أهل بيت التوحيد والعلم والمعرفة والحكمة لا من أهل بيت النسوان والصبيان والأهل والأولاد» ^(٤).

(١) المعجم الكبير للطبراني، ج ٦، ص ٢١٢؛ تفسير الطبري، ج ٢٠، ص ٢٢٣؛ الطبقات الكبير، لابن سعد، ج ٤، ص ٧٧؛ المستدرک على الصحيحين للحاكم، ج ٣، ص ٦٩١.
 (٢) سلمان الفارسي، للسبتي، ص ٤٠؛ ونفس الرحمان، ص ٣٢؛ كلاهما عن الفتوحات المكية.
 (٣) التبيان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ٤٩٤.
 (٤) الأسرار الفاطمية، المسعودي، ص ٤٦.

وروي في منزلة سلمان ومكانته في الإسلام جملة من الروايات في مصادر السنة والشريعة، منها: ما رواه ابن سعد في الطبقات: «أنه حين اشتغال المسلمين بحفر الخندق، وكان النبي ﷺ قد قطع لكل عشرة أربعين ذراعًا، يعملون فيها، وكان سلمان قويًا في عمله، احتج المهاجرون والأنصار. فقال المهاجرون: سلمان منا. وقال الأنصار: سلمان منا. فقال رسول الله ﷺ: سلمان منا أهل البيت»^(١).

ومنها ما عن العلامة المجلسي في البحار، والشيخ المفيد في الاختصاص، وغيرهما: «روي أن سلمان الفارسي دخل مجلس رسول الله ﷺ ذات يوم، فعظموه، وقدموه، وصدروه؛ إجلالًا لحقه، وإعظامًا لشيبته واختصاصه، فدخل البعض: فنظر إليه، فقال: من هذا العجمي المتصدر فيما بين العرب؟ فصعد رسول الله ﷺ المنبر، فخطب، فقال: إن الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط، لا فضل للعربي على العجمي، ولا للأحمر على الأسود إلا بالتقوى. سلمان بحر لا ينزف، وكنز لا ينفد، سلمان منا أهل البيت..»^(٢).

هذا، وكان إذا قيل لسلمان: ابن من أنت؟ فيقول: «أنا سلمان بن الإسلام أنا من بني آدم»^(٣).

ويؤكد قائلًا: «أنا سلمان بن عبد الله. كنت ضالًّا، فهداني الله بمحمد، وكنت عائلًا، فأغناني الله بمحمد، وكنت مملوكًا، فأعتقني

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ٥٩.

(٢) الاختصاص، المفيد، ص ٣٤١؛ النوري، نفس الرحمن في فضائل سلمان (رض)، ص ٢٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٣٤٨.

(٣) سلمان سابق فارس، آل فقيه، ص ١٤٢.

الله بمحمد، فهذا حسبي ونسبي»^(١).

وكانت لسلمان احتجاجات على القوم في هذا المجال، ويؤكد موقفه هذا كلمته المشهورة يوم السقيفة، حين أخبر بمبايعة الناس لأبي بكر، وهي قوله: «كرديد ونكرديد، بمعنى: فعلتم وما فعلتم»، وقد ذكرها المعتزلي في شرح النهج في أكثر من مورد كما ذكرها غيره، إلا أنهم اختلفوا في تفسيرها^(٢).

وقال السيد مرتضى العسكري: «إنَّ مراد سلمان واضح، بل صرَّح به هو حيث قال مخاطبًا الصحابة: "أصبتُم الخير، ولكن أخطأتم المعدن". وفي روايةٍ أخرى: أصبتُم ذا السِّن منكم، ولكن أخطأتم أهل بيت نبيكم، أما لو جعلتموها فيهم ما اختلف منكم اثنان ولا أكلتموها رغداً»^(٣).

وروى البلاذري في أنسابه أن سلمان الفارسي بعد أحداث السقيفة قال: «لو بايعوا عليًّا لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم»^(٤).

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.

(١) الدرجات الرفيعة، للمدني، ص ٢٠٦.

(٢) يُنظر: نفس الرحمن في فضائل سلمان، للنوري، ص ١٤٨.

(٣) عبد الله بن سبأ، للعسكري، ج ١، ص ١٤٣.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٥٩١.

أمير الطلقاء والفاروق بين الإسلام والمسلمين

المستشكل: عبد الله مفلح

الاستشكال: أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان هو الفارق بين الهدى والضلال، لم أرَ أحداً ينتقصه أو يطعن فيه إلا وفي عقيدته خلل، والروافض يريدون أن نسرد لهم أحاديث في فضائل أمير المؤمنين معاوية، فمعاوية تشهد لعظمته أعماله وإنجازاته.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله

المطهرين..

قد تجلّى في قولك (لم أرَ أحداً ينتقصه أو يطعن فيه إلا وفي عقيدته خلل)، أنك في الواقع توجّه الطعن إلى أمّ المؤمنين عائشة، وتشكّك في عقيدتها؛ لأنها شبّهت معاوية بفرعون، ونفّت عنه الخلافة والصّحبة من رأسٍ، وذلك لما سأها الأسود بن يزيد، قائلاً: «قلت لعائشة: ألا تعجبين لرجلٍ من الطلقاء، ينازع أصحاب رسول الله ﷺ في الخلافة؟ فقالت: وما تعجب من ذلك؟ هو سلطان الله يؤتيه البرّ والفاجر، وقد ملك فرعونُ أهل مصر أربعمئة سنة، وكذلك غيره

من الكفار»^(١).

قال العلوي في "النصائح الكافية": إنَّ كلام عائشة فيه إشارة واضحة إلى أمور ثلاثة:

الأول: بدلالة مفهوم الصفة المخالف أن معاوية ليس من أصحاب محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقد نقل العلوي النص من الدر المنثور هكذا: (رجل من الطلقاء ينازع أصحاب محمد في الخلافة).

الثاني: الإشارة بالمثل إلى فجور معاوية.

الثالث: تشبيهها معاوية بفرعون الذي بيّن الله حاله بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾^{(٢)(٣)}.

ثم لا يخفى على ذوي العقول والحجى من المسلمين في شرق الأرض ومغربها، بأن معاوية بن أبي سفيان من جملة الطلقاء، إلى الحد الذي لا يشك في ذلك عاقل ولا يتردد.

وفي معنى (الطليق) يقول ابن حجر العسقلاني في (نزهة

(١) تاريخ ابن كثير، ج ٨، ص ١٣١، قال: أخرجه أبو داود الطيالسي وابن عساكر؛ الدر المنثور، ج ٦، ص ١٩، قال: أخرجه ابن أبي حاتم.

(٢) هود: ٩٧-٩٩.

(٣) يُنظر: النصائح الكافية، ص ٣١.

الألباب) ما نصُّه: «الطلاق اسمٌ لكلِّ من كان بمكة يوم الفتح، ومَنْ عليه رسولُ الله ﷺ لقوله لهم: أنتم الطُّلقاء»^(١).

قال أبو بكر الجصاص: «والثالث: قوله: «أنتم الطُّلقاء»، وبلغ من استفاضة ذلك في الأمة، أنَّ الصحابة كانوا يُسمُّون قريشاً الذين أطلقهم النبي ﷺ حين فتح مكة: الطُّلقاء، مثل: سهيل بن عمرو، ومعاوية، وأشباهما من الناس، حتى كانوا يسمُّون أبناءهم: أبناء الطُّلقاء. وقال عمر: إنَّ هذا الأمر - يعني الخلافة - لا يصلح للطُّلقاء، ولا لأبناء الطُّلقاء. فكانت هذه سمةٌ لهم ولأبنائهم، حتى صارت كالنسب لشهرتها واستفاضتها»^(٢).

وروى ابن عساكر في تأريخه ما كتبه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى معاوية في كتابٍ جاء فيه بعد كلام طويل: «واعلم يا معاوية أنَّك من الطُّلقاء الذين لا تحلُّ لهم الخلافة، ولا تعرض فيهم الشورى»^(٣).

إذن، فمعاوية ممن كان المسلمون حاكمين عليه بالقتل أو الاسترقاق، ولم يفعلوا ذلك، بل تکرَّموا، ومنَّوا عليه بالإطلاق، فولاية القتل والاسترقاق ثابتةٌ لهم كما في ولاء العتق، فلم يكن لمعاوية ولغيره من الطُّلقاء أن يأمر، ولا أن ينهى، ولا أن يتأمّر على المسلمين قضاءً لحقوق تلك الولاية.

(١) نزهة الألباب، لابن حجر العسقلاني، ج ١، ص ٤٤٧.

(٢) شرح مختصر الطحاوي، للجصاص، ج ٧، ص ١١٠.

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر، ج ٥٩، ص ١٢٨.

ووجه ذلك أن المسلمين هم الذين وهبوا له آثار الحياة والحرية، بحيث صار يأمر، وينهى نفسه، يذهب، ويجيء حيث يشاء، فلو صار يأمر، وينهى المسلمين، ويتأمر عليهم، صار كعبد يتحكم بمولاه، وهذا منقوضٌ بولاية المسلمين على الطُّلقاء، هذا من جانب.

ومن جانب آخر، فقد لعن معاوية وأبوه على لسان رسول الله ﷺ، فقد روى البزار في مسنده، قال: «حدثنا السكن بن سعيد، قال: حدثنا عبد الصمد، قال: حدثنا أبي، وحدثنا حماد بن سلمة، عن سعيد بن جمهان، عن سفينة، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسًا، فمرَّ رجلٌ على بعيرٍ، وبين يديه قائدٌ وخلفه سائقٌ، فقال: لعن الله القائد والسائق والراكب»^(١).

قال الهيثمي في المجمع: «رواه البزار، ورجاله ثقات»^(٢).

وقال ابن الوزير في "العواصم والقواصم": «العاشر: حديث "لعن الله الراكب والقائد والسائق". رواه الهيثمي مرفوعًا من حديث سفينة، وقال: رجاله ثقات، وهو لعنٌ لمعين»^(٣).

وجاء في "الإمتاع والمؤانسة"، أن المدائني قال: «جرى بين وكيع

(١) مسند البزار "البحر الزخار"، ج ٩، ص ٢٨٦، ط. الأولى، المدينة المنورة.

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ١، ص ١١٣، ط. القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

(٣) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ج ٨، ص ٩٤، ط. الثالثة، ١٤١٥ هـ -

١٩٩٤ م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

بن الجراح وبين رجل من أصحابه كلامٌ في معاوية، واختلفا، فقال الرجل لو كيع: أَلَمْ يبلُغْكَ أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا سفيان ومعاوية وعتبة، فقال: «لَعَنَ الله الراكب والقائد والسائق»، فقال وكيع: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أيما عبد دعوتُ عليه فاجعل ذلك (له أو عليه) رحمة»، فقال الرجل: أفسرك أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لعن والديك، فكان ذلك لهما رحمة؟. فلم يجر إليه جواباً^(١).

وليس هذا فحسب، بل جاء الأمر عن رسول الله ﷺ، بقتله، فكان يقول: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه»^(٢).

ورواه ابن كثير في "البداية والنهاية"، وعقبه بقوله: «وهذا الحديث كذب بلا شك، ولو كان صحيحاً لبادر الصحابة إلى فعل ذلك»^(٣).

وإنه لأمر مضحك من ابن كثير، فهو بدلاً من أن يناقش سند الحديث، ويحكم بالاستناد إلى ذلك على كذبه وضعفه، ناقش متن الحديث، وبما لم يسبقه إليه أحد، وهو بذلك يؤسس قاعدة جديدة مفادها: كل حديث لم يبادر الصحابة إلى العمل بمضمونه فهو حديث مكذوب، وبالعكس ذلك فهو الصحيح!! .. ولا نعلم من أين جاء

(١) الإمتاع والمؤانسة، ص ٣٨٧، ط. الأولى، ١٤٢٤ هـ، المكتبة العصرية، بيروت.

(٢) تاريخ الطبري، ج ١٠، ص ٥٨، ط. المعارف؛ وسير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٤٩؛ وتهذيب التهذيب، لابن حجر، ج ٧، ص ٣٢٤.

(٣) البداية والنهاية، لابن كثير، ج ١١، ص ٤٣٤، ت. التركي.

بهذه الملازمة!!

ومع ذلك فقد جاء عن أبي سعيد الخدري ما يؤكد علم الصحابة بحديث رسول الله ﷺ الذي يحثهم على قتل معاوية إن رأوه على منبره، إلا أن عمر بن الخطاب منعهم من ذلك!، فقد روى البلاذري في الأنساب، عن أبي سعيد الخدري، أنه قال: «إن رجلاً من الأنصار أراد قتل معاوية، فقلنا له: لا تسلّ السيف في عهد عمر حتى تكتب إليه، قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا رأيتم معاوية يخطب على الأعواد فاقتلوه. قال: ونحن قد سمعناه، ولكن لا نفعل حتى نكتب إلى عمر، فكتبوا إليه، فلم يأتهم جواب الكتاب حتى مات»^(١).

وقولك (والروافض يريدون أن نسرد لهم أحاديث في فضائل أمير المؤمنين معاوية)؛ لأنك تعلم أنه ليس هناك أي حديث يشير إلى فضائله، في مقابل ما ورد في ذمّه وذكر موبقاته، وقد أكد ابن تيمية بوضوح تام أن كل ما ورد في فضائل معاوية هو من الموضوعات، فقال: «طائفةٌ وضعوا لمعاوية فضائل، ورووا أحاديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في ذلك، كلّها كذبٌ»^(٢).

وأكد ذلك -أيضاً- ابن قيم الجوزية في "المنار المنيف" بقوله: «ومن ذلك ما وضعه بعض جهلة أهل السنة في فضائل معاوية بن

(١) أنساب الأشراف، للبلاذري، ج ٥، ص ١٢٨ - ١٢٩، ط. الفكر.

(٢) منهاج السنة النبوية، ج ٤، ص ٤٠٠.

أبي سفيان، قال ابن راهويه: لا يصح في فضائل معاوية بن أبي سفيان عن النبي ﷺ شيء، قلت: ومراده ومراد من قال ذلك من أهل الحديث أنه لم يصح حديث في مناقبه بخصوصه»^(١).

وقد ذكر ابن تيمية محنة الحاكم النيسابوري صاحب المستدرک، وما حدث له بسبب امتناعه عن رواية حديث واحد في فضائل معاوية، فقال في منهاجه: «وقد طُلبَ منه أن يروي حديثاً في فضل معاوية، فقال: ما يجيء من قلبي، ما يجيء من قلبي، وقد ضربوه على ذلك، فلم يفعل»^(٢).

وأما عن قولك (فمعاوية تشهد لعظمته أعماله وإنجازاته)، فمن إنجازاته وأعماله التي تشهد له، ما سجله لنا التاريخ من قتله الصحابة والتابعين وأبناءهم، ونحن نقتصر في هذه العُجالة على ذكر بعضهم، وأشهرهم: سبط رسول الله ﷺ الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وعمار بن ياسر، وحجر بن عدي، ومحمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة، ومحمد بن أبي بكر، وعمرو بن الحمق الخزاعي، ومحرز بن شهاب السعدي التميمي، وعبد الرحمن العنزي، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، ومالك الأشتر.

ويضاف إليهم: سعد بن أبي وقاص، حيث أورد البلاذري خبراً ذكر فيه أن سعداً مات مسموماً بسُم دسّه إليه معاوية بن أبي

(١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ج ١، ص ١١٦.

(٢) منهاج السنة، ج ٧، ص ٣٧٣.

سفيان^(١). ورواه الطبراني في معجمه^(٢)، وقال محقق الكتاب حمدي السلفي: إسناده إلى قائله صحيح.

هذا هو أمير الطلقاء معاوية، العظيم في جرائمه، المتفرد في كثرة موبقاته!!

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



(١) يُنظر: أنساب الأشراف، للبلاذري، ج ١، ص ٤٠٤.

(٢) المعجم الكبير، للطبراني، ج ٣، ص ٧١، ح ٢٦٩٤.

علم الأنبياء والأولياء بالغيب في عقيدة علماء المسلمين

المستشكل: أبو عمر

الاستشكال: ليس هناك نبي أو رسول أو ولي يعلم الغيب، ومَن يقول: إن هناك إنساناً يعلم الغيب فهو يكذب القرآن الذي يصرّح بأن الله وحده يعلم الغيب، كل الأنبياء والمرسلين وغيرهم عبيد لله، لا يملكون الموت ولا الحياة .. ولا يعلمون الغيب، ولا يسمعون الدعاء، فهذه الأشياء خاصة بالخالق، وليس المخلوقين، كل الناس مخلوقون من عدم، خلقهم الله، ويتوفاهم .. لا ينبغي أن نرفع مقدار المخلوق، ونجعله كمقدار الخالق، فهذا الشيء مضادٌ لدعوة الأنبياء والمرسلين، ومضاد لدين الله وطريق الصالحين والأولياء.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله

المطهرين ..

من المضحك المبكي واقعاً أن يأتيك شخصٌ من مذهبٍ آخر،

مصادره مشحونة بمضمون اعتراضه وإشكاله، وجُلّ علماء مذهبه يتخذونه معتقداً صريحاً، فيستعرض جهله واهماً أنه أفحم الخصوم، وألجم من يقول ومن يصول، فهو يزعم أنه (ليس هناك نبي أو رسول أو ولي يعلم الغيب، ومن يقول: إن هناك إنساناً يعلم الغيب فهو يكذب القرآن...)، في حين أنه هو من كذب القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾^(١)، وكذب -أيضاً- أصحّ كتابين بعد كتاب الله -في معتقده- البخاري ومسلم حيث أخرجاً في صحيحيهما ما يثبت علم الغيب للنبي ﷺ.

وحقيقة الأمر أنه قد خفي على المستشكل وجود الفرق بين العلم المطلق بالغيب، والعلم النسبيّ به، فالعلم النسبيّ بالغيب متاح لجميع الناس، أنبياء وغيرهم، فقد يُطلع الله سبحانه على غيبه بعض أنبيائه، كما هو المستفاد من قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾، وقد يُطلع غير الأنبياء على الغيب، كما هو المستفاد من قصة موسى والخضر عليهما السلام وإخبار الخضر لموسى عن أمور غيبية. قال البغوي في تفسير قوله سبحانه في حق الخضر عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾: «أي: علم الباطن إلهاماً، ولم يكن الخضر نبياً عند أكثر أهل العلم»^(٢).

وقال الشوكاني في فتح القدير: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾،

(١) آل عمران: ٤٤.

(٢) تفسير البغوي، ج ٥، ص ١٨٨، ط. طيبة.

وهو ما علّمه الله سبحانه من علم الغيب الذي استأثر به»^(١).

وقال البيهقي في "الأسماء والصفات" في تفسير قول الله سبحانه ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾^(٢): «لا يعلمون شيئاً من علمه إلا بما شاء أن يُعلّمهم إياه، فيعلموه بتعليمه»^(٣).

ويقول الحافظ ابن حجر العسقلاني: «وقال القاضي البيضاوي: يُخصّص الرسول بالملك في اطلاعه على الغيب، والأولياء يقع لهم ذلك بالإلهام»^(٤).

وجاء عن ابن تيمية في تفسير سورة آل عمران مستدلاً بآية ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾^(٥) إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ^(٥)، قوله: «فغيبه الذي اختص به لا يُظهر عليه أحداً إلا مَنْ ارتضى من رسول... وأما ما أظهره لعباده فإنه يُعلمه من شاء»^(٦).

وقال أبو السعود العمادي في تفسيره: ﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾^(٦)، أي إلا رسولا ارتضاه لإظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان مَنْ ارتضى بالرسول تعلقاً تاماً، إما لكونه من مبادئ رسالته بأن يكون معجزة دالة على صحتها، وإما

(١) فتح القدير للشوكاني، ج ٣، ص ٣٥٤، ط. دار ابن كثير.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

(٣) الأسماء والصفات، للبيهقي، ج ١، ص ٢٩٣، ت. الحاشدي.

(٤) فتح الباري، لابن حجر، ج ١٣، ص ٣٦٤، ط. دار المعرفة.

(٥) الجن: ٢٦، ٢٧.

(٦) مجموع الفتاوى، ج ١٤، ص ١٩٧، ط. المدينة المنورة.

لكونه من أركانها وأحكامها كعامة التكاليف الشرعية التي أمر بها المكلفون وكيفيات أعمالهم وأجزيتها المترتبة عليها في الآخرة وما تتوقف هي عليه من أحوال الآخرة التي من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الأمور الغيبية التي بينها من وظائف الرسالة، وأما ما لا يتعلق بها على أحد الوجهين من الغيوب التي من جملتها وقت قيام الساعة فلا يُظهر عليه أحدًا، على أن بيان وقته مغلَّبٌ بالحكمة التشريعية التي عليها يدور فلك الرسالة، وليس فيه ما يدل على نفي كرامات الأولياء المتعلقة بالكشف، فإن اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسول لا يستلزم عدم الحصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم أصلاً، ولا يدعي أحدٌ لأحد من الأولياء ما في رتبة الرسل عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصريح^(١).

وقال الخطيب الشربيني في "السراج المنير" والخازن في "لباب التأويل"، واللفظ للأول، قال: «فإنه يجوز أن يلهم الله تعالى بعض أوليائه وقوع بعض الوقائع في المستقبل، فيخبر به، وهو من إطلاع الله إياه على ذلك، ويدل على صحة ذلك ما روي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لقد كان في من قبلكم من الأمم ناسٌ محدِّثون من غير أن يكونوا أنبياء، وإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر» أخرجه البخاري. قال ابن وهب: تفسير محدِّثون ملهَمون، ولمسلم عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان

(١) تفسير أبي السعود، للعمادي، ج ٩، ص ٤٧-٤٨، ط. دار إحياء التراث العربي.

يقول: «في الأمم قبلكم محدّثون، فإن يكن في أمتي منهم أحدٌ فإن عمر بن الخطاب منهم» ففي هذا إثبات كرامات الأولياء»^(١).

وقال الزحيلي في تفسيره: «إن الله تعالى يُظهر أحياناً بعض الكرامات بالإلهام على يد بعض أوليائه المخلصين، فيخبرون عن وقوع بعض الوقائع في المستقبل. وهذا ثابتٌ بالأمثلة الكثيرة قديماً وحديثاً، وأيده العلم الحديث»^(٢).

وقال ابن حجر العسقلاني في الفتح: «قوله تعالى ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿١﴾ إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴿٢﴾، الآية. فيمكن أن يفسر بما في حديث الطيالسي، وأما ما ثبت بنص القرآن أن عيسى عليه السلام قال: إنه يخبرهم بما يأكلون وما يدخرون، وأن يوسف قال: إنه ينبئهم بتأويل الطعام قبل أن يأتي، إلى غير ذلك مما ظهر من المعجزات والكرامات، فكل ذلك يمكن أن يستفاد من الاستثناء في قوله "إلا من ارتضى من رسول" فإنه يقتضي إطلاع الرسول على بعض الغيب، والولي التابع للرسول عن الرسول يأخذ، وبه يكرم، والفرق بينهما أن الرسول يُطَّلَع على ذلك بأنواع الوحي كلها، والولي لا يُطَّلَع على ذلك إلا بمنام أو إلهام»^(٣).

وقال الألوسي في تفسيره: «ولا يُشكّل على هذا أن الله تعالى قد

(١) السراج المنير، للخطيب الشربيني، ج ٤، ص ٤٠٩، ط. بولاق - القاهرة؛ لباب التأويل في معاني التنزيل، للخان، ج ٤، ص ٣٥٣، ط. العلمية.

(٢) التفسير المنير، الزحيلي، ج ٢٩، ص ١٨٥، ط. دار الفكر.

(٣) فتح الباري، لابن حجر، ج ٨، ص ٥١٤، ط. دار المعرفة.

يُطلع على الغيب بعض أهل الكشف ذوي الأنفس القدسية؛ لأن ذلك بطريق الوراثة لا استقلالاً»^(١).

هذا من جانب.

ومن جانب آخر، فقد روى البخاري في صحيحه عن طارق بن شهاب، أنه قال: «سمعت عمر، يقول: «قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم مقامًا، فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي في ما يكون إلى قيام الساعة، عن حذيفة، أنه قال: «قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامًا. ما ترك شيئًا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة، إلا حدث به. حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه»^(٣).

وفيه -أيضًا- عن عمرو بن أخطب، أنه قال: «صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر. وصعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر. فنزل، فصلى. ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر. ثم نزل، فصلى. ثم صعد المنبر. فخطبنا حتى غربت الشمس.

(١) روح المعاني، للآلوسي، ج ٢، ص ٣٥٠، ط. العلمية.

(٢) صحيح البخاري، ج ٣، ص ١١٦٦، ت. البغا.

(٣) صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٢١٧، ت. عبد الباقي.

فأخبرنا بما كان وبما هو كائن. فأعلمنا أحفظنا»^(١).

فهذه أخبار صريحة عن أمور مستقبلية تروونها في أصح كتبكم الحديثية، فماذا تسمون مثل هذا العلم؟ هل هو علم بالغيب، أو تنبؤات أو حكايات من الخيال العلمي؟!

ومن جميع ما تقدم من أدلة وبراهين يظهر لنا بغاية الوضوح أن العلم بالغيب عند رسول الله ﷺ إنما هو تعلُّم من الله سبحانه، أظهره عليه، وعلم الأئمة عليهم السلام هو علم يتعلمونه من رسول الله ﷺ، يتوارثونه كابراً عن كابر حسب اعتقادنا بإمامتهم، وأنهم الأوصياء الشرعيون لرسول الله ﷺ وليس هو علماً مطلقاً بالغيب حتى يأتي، ويخرِّص علينا بجهله كائناً من كان!!

وأما قولك: (...) ولا يسمعون الدعاء، فهذه الأشياء خاصة بالخالق، وليس المخلوقين (...)!

فقد جاء في "مجموع الفتاوى" لابن تيمية ما نصه: «وسئل: هل الميت يسمع كلام زائره، ويرى شخصه؟ وهل تُعاد روحه إلى جسده في ذلك الوقت، أم تكون ترفرف على قبره في ذلك الوقت وغيره؟ وهل تصل إليه القراءة والصدقة من ناحليه وغيرهم، سواء كان من المال الموروث عنه وغيره؟ وهل تجمع روحه مع أرواح أهله وأقاربه الذين ماتوا قبله، سواء كان مدفوناً قريباً منهم أو بعيداً؟

وهل تنقل روحه إلى جسده في ذلك الوقت أو يكون بدنه إذا مات في بلد بعيد، ودفن بها ينقل إلى الأرض التي ولد بها؟ وهل يتأذى بكاء أهله عليه؟ ...

فأجاب : الحمد لله رب العالمين . نعم، يسمع الميت في الجملة كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «يَسْمَعُ خَفَقَ نَعَالِهِمْ حِينَ يُولَوْنَ عَنْهُ» . وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم «أنه ترك قتلى بدر ثلاثاً، ثم أتاهم، فقال: يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً، فسمع عمر ذلك، فقال: يا رسول الله، كيف يسمعون؟ وأنى يجيبون، وقد جيفوا؟ فقال: والذي نفسي بيده ما أنت بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرُونَ أن يجيبوا»، ثم أمر بهم، فسحبوا في قلب بدر.

وكذلك في الصحيحين عن عبد الله بن عمر «أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قلب بدر، فقال: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ وقال: إنهم يسمعون الآن ما أقول». وقد ثبت عنه في الصحيحين من غير وجه أنه كان يأمر بالسلام على أهل القبور. ويقول: «قولوا: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية. اللهم لا تحرمنّا أجرهم،

ولا تفتنّا بعدهم، واغفر لنا ولهم»، فهذا خطاب لهم، وإنما يخاطب من يسمع، وروى ابن عبد البر عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «ما من رجل يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا، فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام». وفي السنن عنه أنه قال: «أكثرُوا من الصلاة عليّ يوم الجمعة وليلة الجمعة؛ فإن صلاتكم معروضة عليّ، فقالوا: يا رسول الله، وكيف تُعرض صلاتنا عليك؟ وقد أُرمت - يعني صرّت رميًّا - فقال: إن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء». وفي السنن أنه قال: «إن الله وكل بقبري ملائكة يبلغوني عن أمتي السلام». فهذه النصوص وأمثالها تبين أن الميت يسمع في الجملة كلام الحي، ولا يجب أن يكون السمع له دائماً، بل قد يسمع في حالٍ دون حال، كما قد يعرض للحي؛ فإنه قد يسمع أحياناً خطاب من يخاطبه، وقد لا يسمع لعارضٍ يعرض له، وهذا السمع سمعٌ إدراكيّ، ليس يترتب عليه جزاء، ولا هو السمع المنفي بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾، فإن المراد بذلك سمع القبول والامتنال، فإن الله جعل الكافر كالميت الذي لا يستجيب لمن دعاه وكالبهائم التي تسمع الصوت، ولا تفقه المعنى»^(١).

وها هنا سؤال: هل يمكننا مخاطبة شخص ميت والانتفاع من مخاطبته؟!

(١) مجموع الفتاوى، ج ٢٤، ص ٣٦٣ - ٣٦٤، ط. المدينة المنورة.

الجواب: يمكن ذلك، وإليك الدليل من القرآن الكريم نفسه:

يقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾^(١)، فهذه الآية عامة تشمل حالتي الحياة الدنيا وبعد الموت أيضًا، وذلك لمجيء الفعل (جاءوك) في سياق الشرط، وبما أن الفعل يتضمن مصدرًا منكرًا، والنكرة في سياق الشرط أو النفي تفيد العموم وضعًا، فيثبت الشمول في المجيء للرسول والاستغفار عنده في حياته وبعد مماته، وبعموم العلة يثبت استغفار الرسول ﷺ لمن جاءه، واستغفر الله عنده، لثبوت وقوع المشروط بعد ثبوت شرطه، ومن هنا فهم العلماء العموم من هذه الآية الكريمة، وجعلوها ضمن سنن زيارته وآدابها ﷺ.

قال ابن قدامة الحنبلي - الموصوف على لسان ابن تيمية بأنه ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من ابن قدامة^(٢) - في كتابه المغني ما نصه: «على الزائر عند توجهه للقبر الشريف أن يقول: اللهم إنك قلت، وقولك الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾، وقد أتيتك مستغفرًا من ذنوبي مستشفعًا بك إلى ربي، فأسالك يا رب أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته»^(٣).

(١) النساء: ٦٤.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب، ج ٢، ص ١٣٦، ت. الفقي.

(٣) المغني، لابن قدامة، ج ٣، ص ٤٧٩، ط. مكتبة القاهرة.

فانظر إلى الخطاب المباشر من ابن قدامة للنبي الأعظم ﷺ: «وقد أتيتك مستغفراً من ذنوبي، مستشفعاً بك إلى ربي»، فلو كان الأثر والمؤثر الوارد في هذه الآية الكريمة مختصاً بحياته الشريفة فقط، وأن النبي ﷺ بعد موته لا تأثير، ولا أثر له في طلب التشفع والاستغفار منه إلى الله، لما كان لهذا الكلام من ابن قدامة معنى، وكان لغواً وهذياناً من البيان.

وأما السنة الشريفة فيكفي أن نذكر الحديث الصحيح الصريح الوارد عن النبي ﷺ: «حياتي خير لكم، تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم، تعرض علي أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت لكم». وهذا الحديث صحيح، قال عنه الحافظ العراقي في "طرح الثريب": «إسناده جيد»^(١).

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد": «رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح»^(٢). وصححه السيوطي في الخصائص^(٣).

وأيضاً في ما ورد من الأثر الصحيح الصريح عن ابن عمر، فيما رواه البخاري في الأدب المفرد، عن عبد الرحمن بن سعد، أنه قال: «خدرت رجل ابن عمر، فقال له رجل: اذكر أحب الناس إليك، فقال: يا محمد»^(٤).

(١) طرح الثريب، ج ٣، ص ٢٩٧.

(٢) مجمع الزوائد، ج ٩، ص ٢٤.

(٣) الخصائص الكبرى، للسيوطي، ج ٢، ص ٢٨١.

(٤) الأدب المفرد، ج ١، ص ٥٣٥، ح ٩٥٩.

والأثر المذكور ظاهر الدلالة في المناداة باسم النداء: (يا محمد)،
لميت غائب عن الدنيا، وهو النبي الأعظم صلّى الله عليه وآله، وكذلك حصول
الأثر التكويني لهذا النداء، كما في رواية الحربي: «قلت: ادع أحبّ
الناس إليك، قال: يا محمد، فبسطها»^(١).

فتلخص مما سبق:

١- أن العلم بالغيب عند رسول الله صلّى الله عليه وآله إنما هو تعلّم من الله
سبحانه، وعلم الأئمة عليهم السلام هو علم يتعلمونه من رسول الله صلّى الله عليه وآله،
وليس هو علماً مطلقاً بالغيب.

٢- الأحاديث والآثار الصحيحة تُثبت سماع النبي صلّى الله عليه وآله والأولياء
للمستغيثين والمستغفرين.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمّد
 وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



(١) غريب الحديث، للحربي، ج ٢، ص ٦٧٤.

حقيقة ترتيب سور القرآن وأجزائه وأحزابه

السائل: أنور كاظم الياسري

السؤال: تحية طيبة

وبعد .. فضلاً منكم، بينوا لنا الكيفية التي رُتبت فيها السور والأجزاء والأحزاب في القرآن الكريم، وكيفية ترتيبه وبدايته بسورة الحمد وختامه بسورة الناس؟ وهل هي مسألة توقيفية أو اجتهادية؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله المطهرين..

من المعلوم الذي لا يداخله الشك والريب أنَّ ترتيب سور القرآن وآياته ليس بحسب النزول، فسورة البقرة مثلاً هي سورة مدنية، تجدها في أوّل القرآن، بينما سورة الكوثر هي سورة مكّية تجدها في آخر القرآن، وهذا الترتيب توقيفي، أي من ترتيب النبي ﷺ، وقد ذهب إليه أكثر علماء الفريقين السنة والشيعة.

ويقابله رأي آخر عند الفريقين أيضاً يقول: إنّه ليس بتوقيفي،

وإنه من ترتيب الصحابة، وما زال الجدل قائماً من هذه الناحية.
ولكن الأمر المتفق عليه بين السواد الأعظم من المسلمين أن
هذا الموجود بين الدفتين هو الكتاب المنزل من عند الله تعالى.
أما الأحزاب والتجزئة في القرآن فهي أمر اصطلاحي اجتهادي
بالاتفاق، أي ليست من النبي ﷺ، وإنما هي من وضع الناس
لغرض تسهيل القراءة لا أكثر.

والمراد بالأجزاء: هو تقسيم القرآن على ثلاثين جزءاً.

والمراد بالحزب: نصف الجزء، وعليه فالقرآن الكريم كما أنه
يتكون من ثلاثين جزءاً يتكون أيضاً من ستين حزباً. ثم يُقسم
الحزب الواحد على نصفين، فيطلق على كل نصف منهما «نصف
حزب». وتستمر عملية التقسيم في ربع الحزب وثمنه.

أورد ابن حجر ما أخرجه أحمد وأبو داود عن أوس بن أبي
أوس، وكان في الوفد الذين أسلموا على يد رسول الله ﷺ، قال:
«فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ، قلنا: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا:
نُحزِّبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى
عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل من «ق» حتى نختم...» قال
ابن حجر: «فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو عليه في
المصحف الآن كان على عهد رسول الله ﷺ»^(١).

(١) فتح الباري، لابن حجر، ج ٩، ص ٤٣، ط. دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ.

قال الزرقاني في "مناهل العرفان في علوم القرآن"، تحت عنوان "تجزئة القرآن": «كانت المصاحف العثمانية مجردة من التجزئة التي نذكرها، كما كانت مجردة من النقط والشكل. ولما امتد الزمان بالناس جعلوا يتفننون في المصاحف وتجزئتها عدة تجزئات مختلفة الاعتبار: فمنهم من قسّم القرآن ثلاثين قسماً، وأطلقوا على كلّ قسم منها اسم الجزء، بحيث لا يخطر بالبال عند الإطلاق غيره، حتّى إذا قال قائل: قرأت جزءاً من القرآن، تبادر إلى الذهن أنّه قرأ جزءاً من الثلاثين جزءاً التي قسّموا المصحف إليها.

ومن الناس من قسّموا الجزء إلى حزبين، ومن قسّموا الحزب إلى أربعة أجزاء، سمّوا كلّ واحد منها ربعاً.

ومن الناس من وضعوا كلمة "خمس" عند نهاية كلّ خمس آيات من السورة، وكلمة "عشر" عند نهاية كلّ عشر آيات منها، فإذا انقضت خمس أخرى بعد العشر أعادوا كلمة خمس، فإذا صارت هذه الخمس عشرًا أعادوا كلمة عشر، وهكذا دواليك إلى آخر السورة.

وبعضهم يكتب في موضع الأخماس رأس الخاء بدلاً من كلمة خمس، ويكتب في موضع الأعشار رأس العين بدلاً من كلمة عشر.

وبعض الناس يرمز إلى رؤوس الآي برقم عددها من السورة، أو من غير رقم.

وبعضهم يكتب فواتح للصور كعنوان ينوه فيه باسم السورة وما فيها من الآيات المكيّة والمدنية، إلى غير ذلك.

وللعلماء في ذلك كلام طويل بين الجواز بکراهة، والجواز بلا كراهة، ولكن الخطب سهل على كلّ حال ما دام الغرض هو التيسير والتسهيل، وما دام الأمر بعيداً عن اللبس والتزید والدخيل»^(١).

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله، وسلّم على سيّدنا ونبينا محمد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين.



(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، ج ١، ص ٤٠٩ - ٤١٠، ط. البابي الحلبي.

محمد بن عبد الله

المحتويات

٤	المقدمة.....
	تجديدُ الحزن على الحسين <small>عليه السلام</small> وأثره في تعزيز القيم الإنسانية وترسيخ
٦	المبادئ الإسلامية.....
١٠	علمُ الحسين <small>عليه السلام</small> بمقتله بين التفصيل والإجمال.....
١٤	الإمامُ الحسين <small>عليه السلام</small> وعلمُه المسبق بمصير مسلم بن عقيل.....
١٧	إفراد الإمام الحسين بالصلاة عليه جزء من الصلاة على محمد وآل محمد.....
٢٣	الإمام الحسن العسكري يكشف عن ولده المهدي المنتظر.....
٢٩	دليل عدم جواز ذكر صحابة النبي وأزواجه في الصلاة عليه وآله.....
٣٥	الدين لا يُصنّف بناءً على تصرفات المتدينين.....
٣٨	القرآن الكريم رسالة إلهية بألفاظه ومعانيه.....
٤٤	معجزةُ خلق الطير من الطين في القرآن والإنجيل.....
٥٠	الإيمان بالله محتمل الوجود ورهانٌ باسكال.....
٥٥	صلاة عليٍّ خلف أبي بكرٍ صلاةٌ مظهرٌ لا مقتد.....
٥٩	الولاية امتدادٌ للرسالة.....
٦٦	قدرةُ الله المطلقة والتناقض المنطقي.....
	زيارةُ الله لقبر الحسين <small>عليه السلام</small> كنايةٌ عن إنزال رحماته الخاصة
٦٨	عليه وعلى زائريه.....
٧١	ولايةُ عليٍّ <small>عليه السلام</small> ركيزةٌ محورية في الإسلام.....

- ٧٦..... مكر الله مجازاةً ومكر الخلق خبثٌ وخداع
- ٨٠..... الإيمان بالله بنيانه العقل وقوامه الخوف
- ٨٥..... حقيقة الكتاب ومن عنده علم الكتاب
- ٩٤..... الصادق جعفر بن محمد والصدّيق علي بن أبي طالب
- ٩٨..... «سلمانٌ منّا أهل البيت» ليس حقيقةً ونسباً
- ١٠٣..... أمير الطلقاء والفراروق بين الإسلام والمسلمين
- ١١١..... علم الأنبياء والأولياء بالغيب في عقيدة علماء المسلمين
- ١٢٣..... حقيقة ترتيب سور القرآن وأجزائه وأحزابه

